13

أرشيفو
ARCHIVO

نشرة تهتم بموضوعات الأرشيف تصدر عن
مركز أوال للدراسات والتوثيق

العدد 13 - حزيران/ يوليو2024

أرشيفو

ARCHIVO

نشرة فصلية مختصة بموضوعات الأرشيف تصدر عن

مركز أوال للدراسات والتوثيق

أرشيفو

ARCHIVO

نشرة فصلية مختصة بموضوعات الأرشيف تصدر عن

مـركـــز أوال للـــدراســـــات والتوثيـــق

العدد 13 - حزيران / يونيو 2024

عدد خاص بيوم الأرشيف الدولي

نشرة فصلية تصدر عن مركز أوال للدراسات والتوثيق، تحت عنوان (أرشيفو). تعنى بقضايا الأرشيف، تنطلق من البحرين إلى الخليج إلى العالم العربي وخارجه.

تغطي النشرة المجالات التالية: المشكلات التي تواجه الأرشيف، طرق حفظ الأرشيف، التعريف بأصحاب الأرشيف الأهلي ومراكز الأرشيف الرسمي، التعريف بالمدونات والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق والأرشيف، ترجمة المقالات المنشورة بلغات أجنبية، مراجعة الكتب المتعلقة بالأرشيف ومتابعة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالذاكرة والأرشيف.

عنوان النشرة يشير إلى أن كلمة (أرشيف Archives) متقاربة النطق والكتابة والجذر في أغلب لغات العالم، وفي اللغة البرتغالية تنطق هكذا (أرشيفو Arquivo).

رئيس التحرير : د. علي الديري

هيئة التحرير : تغريد الزناتي ـ مروة كاظم ـ غنى مونس

سكرتيرة التحرير : نور بكري

رابط مدونة أرشيفو:

awalcentre.com/Archivo

مركز أوال للدراسات والتوثيق

AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

info@awalcentre.com | www.awalcentre.com

awalcentre

الفهرس

1 | الافتتاحية 5
رواسي الأرشيف 5

2 | أمناء الذاكرة 7
مكتبة السيد حسين شرف الدين تاريخ مدينة صور مرّ من هنا 7

3 | ديوان الذاكرة 15
مؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية 15

4 | ثقافة أرشيفية 23
الكتاب المخطوط في قريـة النويدرات 23
تجربتي في التوثيق والأرشفة في النبطية وجنوب لبنان 28
مناجم الملح مراكز آمنة للأرشيف 31

5 | وثيقة وحكاية 37
أول زيارة للمقيم البريطاني في الخليج إلى البحرين 1932م 37

6 ذاكرة الصورة 43
السحر القديم ما زال بيننا.. عن بيروت أحدثكم 43
الممارسات الأرشيفية والتاريخ الكامن 48

7 كشكول 53
ذكريـــات حوش الحاجـة بلالـــة 53
حِنْفِيش بن رجب.. المهاجر العائد 60
تاريخ الإرسالية العربية... شعوب جاهلة وحُكّام قبليون 68
الثور في الموروث الحضاري 72

8 متابعات 77

الافتتاحية

رواسي الأرشيف

رئيس التحرير

تحتاج الذاكرة إلى راسية تطمئنّ إليها وبها، تمامًا كما تحتاج الأرض إلى رواسي الجبال لتثبت وتستقرّ وتطمئنّ. رواسي الذاكرة هي الوثائق التي تُشكل الأرشيف. لا يمكن لفلك الذاكرة أن يستقر إلا على الجودي، أي على جبال الوثائق الراسخة المتمكّنة من الإمساك بالحقيقة.

الأرض نفسها تتحرّك في الذاكرة. لكل جماعة حكاية وقصة تُروى، ولا يمكن أن تُثبت أي جماعة حكايتها على الأرض إلا برواسي الأرشيف، فهي ما نطمئنّ إليه وبه، وهي ما تسمح للسرد بأن يقول الحقيقة.

بقدر ما تتمكّن الجماعات البشرية من الكتابة والتوثيق، فإنها تترسّخ في الأرض ويصعب اقتلاعها. وعلى العكس من ذلك تأتي الجماعات الشفاهية التي لا تملك من رواسي الأرشيف ما يُثبّت حضورها في الأرض ويُثبته في الذاكرة والتاريخ.

تمثل صكوك ملكية الأراضي والمزارع والبساتين نموذجًا لرواسي الأرشيف. إنها تحكي تاريخ الأرض وتروي حكاية البشر الذين تعاقبوا عليها، والصيغ القانونية والشرعية التي تعرفوا إليها في إثبات الملكيات والحقوق والانتقال والبيع والشراء.

واحد من مشاريع مركز أوال الرائدة هو تحقيق هذه الوثائق وفهرستها وأرشفتها وإصدار معجم بالأشخاص والعوائل الواردة فيها، من ملّاك وشهود وكُتّاب وورثة. إنها الدليل "الأرسى" على تاريخنا.

وكما كان البحر هو التاريخ، فالأرض كذلك هي التاريخ، بل هي أمّ التاريخ، والبحر بقدر ما يصل إلى الأرض يُعْرَف ويُعَرَّف.

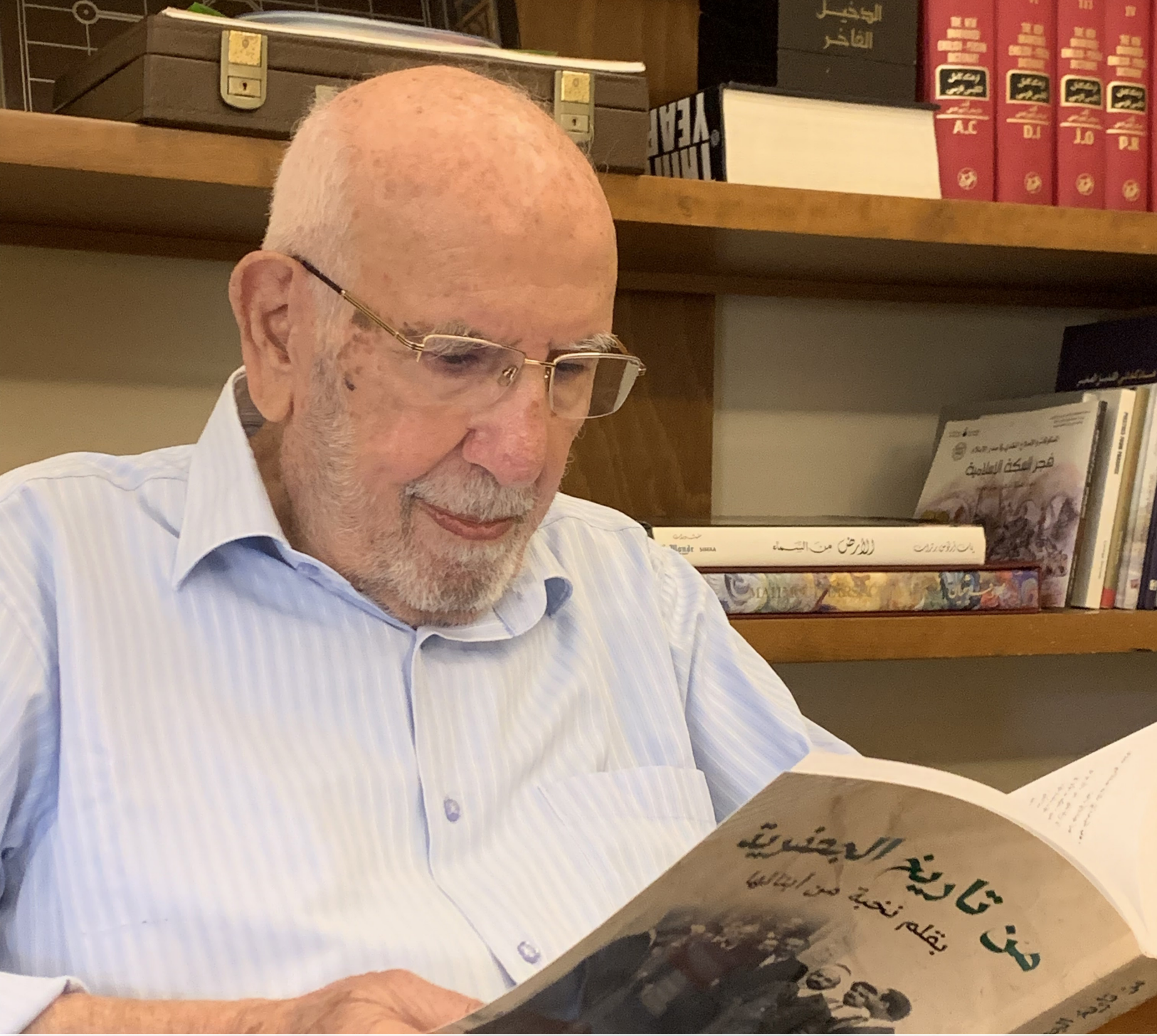

الأديب والمؤرخ اللبناني السيد حسين شرف الدين

أمناء الذاكرة

مكتبة السيد حسين شرف الدين
تاريخ مدينة صور مرّ من هنا

قسم الأرشيف

ربما كان هذا هو الحديث الثقافي والصحافي الأخير للسيد حسين شرف الدين، والذي خصّنا به قبل أشهر من رحيله. بحفاوة ووقار ينمّان عن إرث عظيم استقبلنا، وببلاغة وفصاحة غير متكلّفتين شرع لنا بابه للحديث عن مفاتيح الكتب التي تآخت معه عبر السنين.

وعلى غير المعهود، وطوال حديثنا إليه، لم يكن من الذين يسمحون لذاكرتهم أن تسعفهم، بل كان المبادر أن يسعفها رغم سنه المتقدم. رسمنا هذه الانطباعات في مقابلتنا مع السيد حسين شرف الدين، حفيد العلّامة السيد عبد الحسين شرف الدين[1] ومؤسس المكتبة التي تحمل اسمه (مكتبة الإمام شرف الدين في مدينة صور). ومن كان أميناً على ذاكرتنا لعقود، وجب علينا أن نكون أمناء على ما تعرفنا إليه منه، فكانت هذه المقابلة.

بيت "الأمسيات العاملية"

نعود مع السيد حسين شرف الدين، عالم الدين والأديب والشاعر والمؤرخ، إلى أواخر الثمانينيات. في العام 1987م، أسس حفيد السيد عبد الحسين شرف الدين نشاطًا ثقافيًا في منزله. عصر كل سبت، كان مفكرون وأدباء وأساتذة جامعيون يجتمعون ليناقشوا مواضيع مختلفة، كل ضمن اختصاصه، على مدار ساعتين من الزمن. كانت الجلسة تتخذ الطابع "الضيعاوي" بشكل تام، كما يصفها. يتلاقى الجمع، ويجلس كل منهم في المكان الذي يجده، سواء على الحصيرة أو السجاد أو الكنبة، ثم تبدأ الجلسة.

يخبرنا السيد شرف الدين أن هذه اللقاءات حملت اسم (الأمسيات العاملية)، وكانت تنتهي في عيدها السنوي، كما يقال، بمهرجان شعري يدعى إليه الشعراء، وأحيانًا شعراء الزجل من لبنان وسوريا، من بينهم الأستاذ محمد

المصطفى والشاعر محمد علي شمس الدين. كان الحفل يقام في مكان عامٍ، وليس في بيته.

ظلت هذه الجلسات مستمرة لسنوات، ولم يكن يحول دون تنظيمها سوى الوضع السياسي في لبنان آنذاك، كما يشرح السيد شرف الدين: "لم يكن الوضع العام في لبنان، وخصوصًا الوضع السياسي، مستقرًا بعد الاحتلال في العام 1987، فكانت هذه الجلسات تتوقف. بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان بفترة قصيرة - وكانت آثار الاحتلال لا تزال موجودة - بدأت الأمور تعود إلى سابق عهدها".

وبعد 5 سنوات على انطلاقها، حسم السيد المؤرخ خياره بالعزوف عن تنظيم الجلسات: "رأيت أن هناك نوعًا من الاتجاه إلى الكنتنة التي أرفضها. لذلك، توقفت عن تنظيم الأمسيات العاملية. في هذه الفترة، صار أي شخص يستطيع أن ينظم لقاءات كهذه، وصار كل فرد يرغب في تأسيس جمعية وما شاكل، بحيث أصبح الأمر موضة رائجة، وبدأ كل شخص بتنظيم جلسات".

لماذا المكتبة العامة؟

هنا كانت بداية المكتبة. يقول السيد شرف الدين: "عندها، فكّرت في أمر لا يستطيع أحد أن يقوم به، وهو تأسيس مكتبة عامة، لأن المكتبة ليست مزحة، وهي تحتاج إلى المال، ولا تريد، كما يقال، أن يجلس الشخص ويأتيه الشاي مثنى وثلاثًا ورباعًا. في فكرة المكتبة العامة، لا يوجد مثنى وثلاث ورباع. المكتبة بحاجة إلى نقود، وبحاجة أيضًا إلى نَفس وشخص متفرّغ".

وجد المؤرخ أنّه يمتلك هذه القدرة، وكان حينها قد أصبح في سن التقاعد. استقال من عمله، وتفرّغ للمكتبة والكتابة: "كان القلم سيّدي، والورقة سيّدتي. هما حكّامي. والواجب تجاه حكّامي يقتضي أن أكون قادرًا على تلبية احتياجاتهم، والاحتياجات هنا هي الأفكار والأشياء. لقد لبّيتها، ولا أزال أفعل"، يقول.

بدأ السيد بالعمل وحده. في البداية، جمع الكتب في منزل لم يكن يسكنه، إلى أن جاء الاحتلال في العام 1982م، واستهدف الحي الذي تقع فيه المكتبة بغارة جوية، ولكن السيد لم يتخلّ عن شغفه بالكتب. وبعد فترة، أعيد افتتاح المكتبة بعد الانتهاء من بناء المبنى.

بدأت نواة المكتبة تتشكل من كتب السيد شرف الدين ومكتبته الخاصة، والمكتبات الشخصية لأشخاص راحلين، وكانت المكتبات ودور النشر والكتّاب أيضًا يقدمون منشوراتهم الجديدة، إلى أن أصبحت المكتبة غنية بآلاف العناوين. اليوم، تضم المكتبة أكثر من 15 ألف كتاب في مجال العلوم الإنسانية فقط، من علم نفس، وعلم اجتماع، وفلسفة، وتاريخ، وجغرافيا...

ويضيف سماحته: "لدي أرشيف يعود إلى شخصيتين عراقيتين، جمعه أحد أصدقائي من كربلاء والنجف، وقدمه لي باعتبار أنه يضم رسالة لجدي السيد عبد الحسين شرف الدين. وهناك مخطوطة في المكتبة لم تطبع بعد، تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر، وهناك موضوعات ترتبط بجبل عامل. المواضيع المرتبطة بجبل عامل نشرتها في 37 حلقة في مجلة الأمل".

ويتابع حديثه شارحًا: "ثمة مخطوط ما زال بخط اليد. يبدو أن البعض لم يعجبهم بعض مضامينه، فمزّقوا أجزاء منه. ثمة أشخاص يريدون أن يفرضوا على التاريخ حالة معيّنة. لا شكّ في أن هناك 100 سنة بين الكاتب والقارئ الذي مزّقها، ولكن ما شأنه؟ لماذا يتعدى على هذه الأعوام؟ عندما يكتب شخص ما رواية لا تعجبك، عليك أن تردّ عليه بالكتابة! ولكن تمزيقها ينم عن انعدامٍ في الأخلاق".

الخسارة الكبرى!

يأسف السيد شرف الدين لخلوّ المكتبة اليوم من كتب جده. بالطبع، كل الكتب التي كتبها طبعت ونشرت، ولكن مكتبته التي ضمت كتبًا ومخطوطات قديمة منذ أكثر من 400 عام فقدت، ولم يبقَ منها أثر.

يقول السيد شرف الدين في هذا المجال: "مع الأسف الشديد، خسرنا المكتبة في العام 1920م؛ هذه المكتبة التي تشكلت بعد أن جاء جدّنا الأكبر من العراق إلى لبنان (9 ربيع أول 1322هـ/24 أيار/مايو 1904م). في هذه المكتبة، جمعت كل الكتب والمخطوطات من الآباء على التوالي. عندما احتل الفرنسيون منزله في شحور وصور، صادروا كل كتبه. بعدها، علم أن المكتبة صارت بحوزة الحاكم الفرنسي، فبعث إليه ليطلبها منه مجدّدًا، ولكن الحاكم رفض طلبه".

ظل السيد شرف الدين مستغربًا سبب عدم مطالبة جده بكتبه، إلى أن وجد ضالته أخيرًا: "كانوا يجرّونه ليفتحوا خطًا مع المسؤولين الفرنسيين، ولكنه لم يرد أن يُجر إلى ما يرغبون فيه ويخططون له، ولم يكن سكوته إلا لذلك. وعندما بدأوا يبلغون المحكومين بالمؤبد والمنفيين في كل مكان، وهو واحد منهم، بإلغاء قرار النفي، على أن يُعرضوا على القضاء في وقتٍ آخر حتى يصدر الحكم النهائي، رفض الأمر وقرر الذهاب إلى العراق".

ويضيف: "وجد غورو [2] الأمر ثقيلًا عليه، ولم يتقبل رفض جدي طلبه ورغبته في نفي نفسه إلى العراق، فأرسل إليه صديقًا له، وهو مطران، وقال له: "رتّبلنا ياه لصاحبك، أريد أن أرسلك أنت دون غيرك، لكونكما صديقين وعالمي دين. قل له أن يأتي في الوقت الذي يريد، وبالشكل الذي يريد". وبهذا القرار، قدم تنازلًا للسيد. عندما عاد السيد الراحل إلى صور، لم يجد شباكًا أو بابًا أو غطاء، وكذلك الأمر في شحور، فشرع في التصليح وإعادة ترتيب المكتبة".

رغم حياته الحافلة بالأدب والثقافة والتأريخ، أصر السيد شرف الدين على رفض أي تكريم، وظل يردد: «أفضل تكريم أناله هو قراءة كتبي».

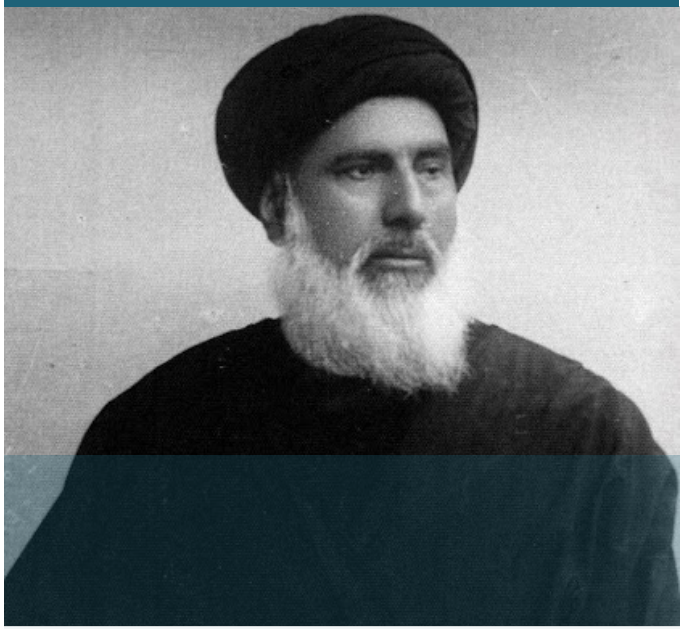

السيد عبد الحسين شرف الدين جد السيد حسين شرف الدين

بالنسبة إلى الوثائق، يشير السيد شرف الدين إلى أن كتاب (بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين) يتضمن عددًا من الوثائق، ولكنها مطبوعة، وليست مكتوبة بخط يد جده. وقد كان الكاتب الذي رافقه طوال عمره (السيد علي شرف الدين الموسوي) يحتفظ بها.

ويقول موضحًا: "عندما توفي الرجل، لم يعرف أهل بيته كيف يتصرفون بها، كما يبدو. لذلك، لا توجد وثيقة بخط يد جدي، إلا إذا وجدنا كتابًا كان قد أهداه إلى شخص ما أو وقّع عليه، ولكنه إمضاء مغاير لذلك الموجود في الرسائل. وهناك موسوعة طبعها الحاج حامد خفاف (12 جزءًا). في الجزء التاسع، توجد رسائل السيد وبعض المخطوطات المصوّرة".

من هنا، كان السيد شرف الدين يشعر بأنه معني بمعالجة هذه الثغرة: "ذات مرة، دُعيت إلى مؤتمر في العراق بعد سقوط صدام. عندها، التقيت سيدًا من سادة آل الحكيم، وأخبرني أنه يعدّ بحثًا، ويهتم بمخطوطات العلماء وتواقيعهم... فعلًا، كان التوقيع الموجود بحوزته هو توقيع كاتب جدي، وليس توقيعه. وقد أرسلت إليه التوقيع الصحيح".

صور بين الماضي والحاضر

عاصر السيد شرف الدين مرحلة الانتداب الفرنسي والاستقلال، وألف كتاب "صور في عيني"، الذي يؤرخ فيه لمدينة صور اللبنانية. يرى السيد الراحل أن بعض العادات والتقاليد تغيرت مع الزمن، ولكن الحارات ما زالت موجودة، وكذلك الحسينية التحتا والمنارة. ويتضمّن الكتاب ملحقًا خاصًا عن البحر وحكاياته وأنواع السمك فيه.

يقول سماحته في وصف المدينة: "صور الحالية لا علاقة لها بكل التاريخ. صور الحالية نشأت في العام 1750. عندما احتل ابن أخ صلاح الدين الأيوبي المنطقة، دمرها بشكل تام، وظلت 50 عامًا على هذه الحال. الروايات التي تتحدث عن قيام فخر الدين بإعادة إعمارها غير صحيحة. فخر الدين حكم المنطقة كلها؛ كل الجنوب، ومنح ابنه صور المدمرة، ولكنه اختار أن يبيعها لابن عمه وأنشأ فيها خانًا. هذا كل شيء".

ويوضح أن صور الحالية بناها الشيخ عباس النصار، وهو من آل النصار الوائليين الذين حكموا جبل عامل. تسلّم حكم صور في فترة من الفترات، واقترح على ظاهر العمر[3] أن يقسمها إلى ولايات حتى يسهل عليه إدارتها. كان الهدف أن يتولى المدينة شخص يعيد بناءها وبناء قلاع جبل عامل. تولى كل منطقة شخص، فاختار الشيخ نصار خط الشعب، أي الخط الممتد من طلعة الناقورة إلى بلدة معركة، والذي تقع صور ضمنه، ذلك أنها حين عرضت على غيره، أجاب: هل نتسلّم كومة حجارة؟ كانت مدينة صور تحتضن مجموعة صيادين يعملون في الملاحات ويستخرجون الملح فقط، يشرح سماحته.

ويستطرد قائلًا: "قام الشيخ نصار بإعمارها، وبنى مسجدًا فيها، كما بنى أيضًا كنيسة للكاثوليك. يقال للمسجد الآن "المسجد القديم"، لأن العثمانيين حولوه بعد احتلاله إلى أوقاف سنية بطبيعة الحال. أخذ السنة يشعرون بالضيق عندما يحضر الشيعة الصلاة، فامتنع الأخيرون عن الصلاة فيه، وصار المسجد يعرف بمسجد السنة، إلى أن نزل السيد عبد الحسين شرف الدين في مدينة صور، بطلب من أهلها وجماعة من المؤمنين".

عندما قدم السيد عبد الحسين شرف الدين إلى لبنان في العام 1904، سكن في شحور مع والده. ولما كانت القرية تزخر بالمجتهدين، طالب أهالي صور بقدوم السيد الابن إلى صور. يقول سماحته: "طبعًا، رفض جدي الأمر، لأنه كان مرتبطًا بوالده أوّلًا، وثانيًا لوجود "الأفندية" فيها، وهؤلاء لهم شرع مختلف عن شرع علماء الدين... ولكن خلال الزيارة، وعندما سمع من أهالي صور أن عاشوراء تقام سرًّا في البيوت والأقبية، وأن الشبان يقفون على مفارق الطرقات للمراقبة ورصد

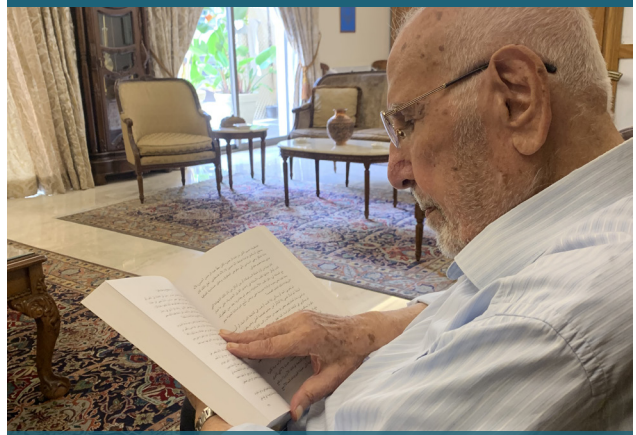

نواة المكتبة التي أسسها شرف الدين تشكلت من كتبه الخاصة

السيد حسين شرف الدين متصفحاً مجلة أرشيفو

تضم مكتبة شرف الدين أكثر من 15 ألف كتاب

السيد عبد الحسين شرف الدين متوسطاً أبناءه

الدوريات، قال لهم: هل تقومون بذلك خوفًا؟ قالوا: نعم. قال لهم حينها: لكنني لا أخاف. الآن، عليّ أن أقيم في صور، ولكن بشرط. أريد نصيرًا، لأنني أريد أن أواجههم، وأن أقيم مراسم عاشوراء علنًا، فهل ستقفون معي، فوافقوا. قدم السيد عبد الحسين إلى صور في 12 كانون الثاني/يناير 1908م، وحلت ذكرى عاشوراء في شهر شباط/فبراير. وقد أقام مراسمها علنًا، ولم يحدث أي شيء".

يروي كتاب (بغية الراغبين) - الجزء الثاني المتعلق بسيرته وقصص الفرنسيين والملك فيصل - أن الشيعة في صور لم يكونوا يعرفون بعضهم البعض، رغم أنهم كانوا الأغلبية فيها وفي المنطقة. يقول السيد إن صور كانت خالية من أي مسجد أو جمعية أو مدرسة، ولكن بعد 50 عامًا لم تعد محرومة من جميع ما ذكر. كل هذا بناه السيد عبد الحسين، من مثل مسجد السيد عبد الحسين، وجمعية البر والإحسان، ومجمع الإمام الصادق.. في رأيي، هذا هو السبب الذي دفع السيد موسى الصدر إلى اختيار صور، لأن الأسس موجودة فيها، يضيف.

إصدار المجلات الثقافية

في مجال التوثيق والكتابة، يتحدث السيد شرف الدين عن عمل آخر تميزت به عائلته، وهي إصدار المجلات الثقافية، ومن بينها مجلة "المعهد" التي كانت تُطبع في صيدا وتصدر في صور (لعدم وجود مطبعة فيها).

وهنا، يستذكر حادثة ما زالت حاضرة في ذهنه بتفاصيلها، فيقول: "في العام 1948م، تلقى عمي السيد جعفر الذي كان يصدرها مبلغًا من المال ليشتري مطبعة. في ذلك الحين، كانت المدرسة الجعفرية تعاني ضائقة مالية، ولم تكن قادرة على دفع رواتب الصيف. لذلك، راجع حساباته، ووجد أن المدرسة أولى بالمال، لأن المعلمين لديهم عائلات، كما أن المدرسة أكثر ارتباطًا به من المجلة التي أصدرها، فالمدرسة أنشأها والده، فيما تولى هو تطويرها وافتتح الصفوف التكميلية والثانوية، فما كان منه إلا أن وزّع المبلغ على شكل رواتب صيف على المعلمين، وأرسل رسالة إلى المموّلين المغتربين ليعذروه، وخصوصًا أنهم كانوا يريدون إصدار (المعهد)، لأنها كانت تتضمن بابًا خاصًا بهم تحت عنوان (المهاجر)، تحتوي مقالاتهم وآراءهم ونشاطاتهم".

أما أخوه الذي يكبره سنًا، السيد محمد رضا، فقد كان يصدر مجلة (الديوان). كان يدرس في الحوزة في النجف، ويصدرها في بغداد. كانت مجلات ثقافية، ولكنها تتضمن أبحاثًا مرتبطة بالأمور الدينية، عن الشريف الرضي وعن عاشوراء والسيدة الزهراء والسيدة خديجة.. كانت دينية بطابع ثقافي. صدر منها بعض الأعداد بين العامين 1935م و1936م، ولم تكن تصدر شهريًا بانتظام.

أما مجلّة (ألواح) في بيروت، فقد أصدرها عمه السيد صدر الدين لمدة عام واحد فقط في 1950م، بسبب المشاكل المادية.

وما زال التوثيق مستمرًا

كتب السيد شرف الدين عن جده السيد عبد الحسين، وعن السيد موسى الصدر (متزوج من شقيقته السيدة رباب الصدر، وله منها 4 أولاد)، وعن الرئيس محمد خاتمي، وصدر له 9 كتب حتى الآن، من بينها (كراس التنمية في مجتمع مضطرب)، و(محطات تاريخية - الإمام موسى الصدر)، و(علماؤنا الأدباء) (22 حلقة في مجلة الأمل)"، و(المجتمع المقاوم)، و(دراسة الحياة الحزبية في بلادنا خلال نصف قرن (1870 -1920): مخطوط).

واليوم، يعمل على إصدارٍ لا يزال قيد الطباعة، وهو كتاب معني بالأرشفة. ألف السيد عبد الحسين شرف الدين كتاب (بغية الراغبين) في جزأين. كان الجزء الأول يتحدث عن العائلة ككل، بما فيها العائلات التي تفرّعت عن شرف الدين في إيران، وهي 8 أو 9 عائلات، وفي العراق أيضًا عائلة الصدر. وفي الجزء الأخير، وصل إلى

طبقة معيّنة، ذُكر فيها في فترة معيّنة، وكذلك إخوته، وظلت شخصيات أخرى لم تذكر. لذلك، أراد أن يتم هذا الجزء.

اعترض البعض على السيد شرف الدين لأنه يأتي على ذكر الإناث في عمله التوثيقي، في حين أنهن لم يذكرن في (بغية الراغبين)، فكان جوابه: "بغية الراغبين يتحدّث عن النسب، وأنا أتحدّث عن الأحفاد. أنا حفيد السيد عبد الحسين، ولكن أليس لدينا أخوات؟ في الماضي، كانت الفتاة تبقى في المنزل عندما تبلغ سن التكليف. لذلك، كانت مدرسة البنات في صور تتيح تعليمهن حتى الصف الرابع ابتدائي. أما البيوت الراقية، فلم تكن تكتفي بتعليم البنت الطبخ وأعمال المنزل. كانوا يعلمونها الخياطة والتطريز.. وهذا ما حصل مع أخواتي؛ إحداهن تعلمت الخياطة، والأخرى التطريز. في ذلك الحين، كان هذا هو التثقيف، ولكن الآن لدينا طبيبات وأساتذة جامعات وروائيات وغيرهن ممن لا بد من ذكرهن. أنا لا أكتب (بغية الراغبين) والنسب. الكتاب الجديد ليس جزءًا ثالثًا له، وليس ملحقًا، وهو يحمل اسمًا مختلفًا تمامًا".

رغم كل هذه الحياة الحافلة بالأدب والثقافة والتأريخ، ما زال السيد شرف الدين يرفض التكريم: "أفضل تكريم لي هو قراءة كتبي. لذلك، أرفض التكريم، ولا أجد فيه شيئًا لنفسي"، يقول خاتمًا.

الهوامش:

1. السيد عبد الحسين شرف الدين (1873 - 1957م): عالم دين شيعي من جبل عامل، له العديد من المؤلفات، وخصوصًا في مجال العقائد الشيعية.
2. الجنرال هنري جوزيف أوجين غورو (1867 - 1946م): قائد عسكري فرنسي. قاد الجيش الفرنسي في نهاية الحرب العالمية الأولى في الحرب التركية الفرنسية (1919 - 1923م).
3. ظاهر العمر الزيداني (1695 - 1775م): أول حاكم فلسطيني (ينتمي إلى بني زيدان، وهي من القبائل العربية الأصلية في فلسطين) لأرض فلسطين. كان واليًا على صفد بدايةً، ثم على عكّا في العام 1705م.

مؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية هي مؤسسة لبنانيّة تختصّ بحفظ الموسيقى العربيّة القديمة

ديوان الذاكرة

مؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية
كي لا يتبدد اللحن في ضجيج العالم

ساري موسى

إذا كان التاريخ هو ذاكرة العالم، فإنَّ عملية الأرشفة هي لبّ هذه الذاكرة والخلية الأهم فيها. هي قدما التاريخ اللتان تثبّتانه على أرض الواقع في الحاضر، وتضمنان حفظه للماضي من خلال الوثائق المتوفرة. وبهذا المعنى، يمكننا اعتبار الأرشفة ذاكرة الذاكرة.

يكتسب الأرشيف أهمية خاصة إذا كان أرشيفًا صوتيًا في الأساس، اعتاد الناس التعامل معه بشكلٍ مجرّدٍ من خلال استقباله بآذانهم، لا مثل الكتب واللوحات التي تملك في وجهٍ من وجوهها جانبًا ماديًا، يمكّننا من لمسها والقبض عليها بين يدينا فيما نتأملها ونحاول غزوها ببقيّة حواسنا.

لهذا، تُضحي مسألة التقاط الألحان أثناء عبورها الفضاء، وحفظها قبل أن يبددها الهواء لتندثر في النسيان من غير رجعة، مسألةً عظيمةَ الأهمية.

المؤسسة الأكثر تخصُّصًا والأغنى محتوى

المؤسسات العربية التي تهتم بهذا النوع من التوثيق وتأخذ طابع المبادرات الفردية قليلة، إذ يغيب عنها أي اهتمامٍ أو رعايةٍ حكوميين، على الرغم من أهمية التراث الموسيقي العربي وخطر الضياع والنسيان الذي يتعرض له لأسبابٍ كثيرةٍ، بدءًا من الخبرة القليلة في التعامل معه وتخزينه في أمكنة غير ملائمة من حيث الرطوبة ودرجة الحرارة، وصولًا إلى الأوضاع المتوترة في البلاد العربية، أمنيًا واقتصاديًا، والتي تُعتبر الثقافة وكل ما يتصل بها الحلقة الأضعف فيها.

تُعَدُّ مؤسّسة التّوثيق والبحث في الموسيقى العربيّة (AMAR) التي تأسست في العام 2009، وتتخذ من قرية "قرنة

الحمرا" في منطقة المتن ضمن محافظة جبل لبنان مقرًّا لها، أهمّ المؤسسات العربية في هذا المجال، وأغناها من حيث المحتوى.

تُعرِّف "AMAR" عن نفسها عبر موقعها الرسمي على شبكة الإنترنت بأنها "مؤسسة لبنانيّة تختصّ بحفظ الموسيقى العربيّة القديمة ونشرها"، وتشير إلى أنها "تمتلك 7000 أسطوانة، جُلُّها من تسجيلات عصر النّهضة (من العام 1903 إلى ثلاثينيات القرن العشرين) ونحو 6000 ساعة من التسجيلات البِكَر والأشرطة".

انطلقت المؤسسة بعد حلقة دراسيّة عُقدت في مقرّها خلال شهر آب/أغسطس من العام 2009، وشارك فيها باحثون مختصّون وأساتذة جامعيون من لبنان ودول عربية أخرى (مصر وتونس)، إضافة إلى دول أجنبية (الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا)، وهم يعملون ويُدرِّسون في كبريات الجامعات العربية والعالمية، كجامعتي باريس وهارفرد.

لم ينقطع المؤسسون عن المؤسسة بعد تأسيسها، وهم يشكّلون "مجلس الشورى" الذي يوجّه نشاطاتها ويشرف عليها.

البداية مع مجموعة العناني

يحدّثنا الأستاذ كمال قصّار، صاحب مبادرة تأسيس مؤسّسة التّوثيق والبحث في الموسيقى العربيّة ورئيسها، عن الأسباب التي دفعته إلى هذه المبادرة الرائدة التي تهتمّ بجانب مهمل من الثقافة العربية، بالقول:

"منذ زمنٍ طويلٍ، كنت أبحث عن الموسيقى العربية المنسية. كنت أسافر إلى الكثير من العواصم العربية، وأبحث عن تسجيلاتٍ نادرةٍ أعود بها إلى لبنان، وأؤلف مجموعة من الأغاني والألحان، ثم أضعها على شريط، وأهديها لأصدقائي".

يتابع قصّار، الذي درس في المعهد الموسيقي اللبناني، وتخصص في العزف على آلة الناي: "قبل نحو 15 عاماً، كنت عضواً في منتدى للموسيقى اسمه "زمان الوصل". كان هذا المنتدى غنيًا جدًا بما يقدّمه وبالمشاركين فيه، فتعرّفت إلى عدد كبير من محبي الموسيقى العربية. في ذلك الوقت، جاءني صديقي فريديريك لاغرانج، وقال لي إن في مصر أكبر مجموعة أسطوانات للموسيقى العربية منذ بدايات التسجيل، هي مجموعة المؤرخ الموسيقي الراحل عبد العزيز العناني التي تعاني من خطر الضياع بسبب نية أولاده بيعها في الأسواق. عندها، قررت أن أشتريها لحفظها. وبعد عدة أشهر من المفاوضات، اشتريت المجموعة التي كانت تحتوي 2800 أسطوانة تقريبًا، إضافة إلى عددٍ من الأشرطة الممغنطة وبعض الكتب والكراريس التي تعود إلى شركات الأسطوانات".

كانت حيازة قصّار هذه المجموعة الكبيرة والمهمة نواةً لإقامة المؤسسة، كما كانت لأجواء منتدى "زمان الوصل" والمشاركين فيه فضلٌ في ذلك.

يُكمل قصّار، الموجود حاليًا في دبي، شرح مراحل التأسيس:

"بدأت المؤسسة بهذه المجموعة، نظرًا إلى ما كانت تحتويه من تسجيلات مهمة، وقرّرنا أن نوسّعها قدر الإمكان ونؤرشفها وننشرها تباعًا، وهذا ما حصل. منذ أن بدأت المؤسسة عملها، كنا نقوم سنويًا بنشر مجموعة واحدة على الأقل من الأقراص المدمجة (CD)، ونوزّعه في جميع أنحاء العالم، وذلك عبر موزّعين معتمدين. وخلال 4 سنوات، أقدمنا على نشر "بودكاست" (برنامج إذاعي) كل أسبوع. وقد بلغ ما نشرناه خلال هذه المدة أكثر من 600 عملٍ مسجّلٍ، وهي جميعها متوفّرة في موقعنا".

تملك المؤسسة حاليًا إحدى أكبر المجموعات المعلومة من التسجيلات الموسيقية المصرية والسورية واللبنانية لفترة "عصر النهضة" في الموسيقى العربية، بين العام 1903 وثلاثينيات القرن الماضي، والذي

يتميز بتضمّن موسيقاه جزءًا مكتوبًا (منوّطا) وآخر مبتكرًا (ارتجاليًا). الجزء الثاني تحديدًا هو ما يُكسب تسجيلات تلك الفترة أهميتها الخاصة، كما أن المؤسسة تملك بعض المجموعات الجزئية من تسجيلات الاستوديو اللبنانية التي يعود تاريخها إلى خمسينيات القرن العشرين.

أهداف المؤسسة وآلية عملها

تحدد المؤسّسة أهدافها الطّموحة بالتالي:

1. حفظ الرصيد المسجل والمدون للسنّة الموسيقية العربية بواسطة أحدث الوسائل التكنولوجية.
2. دعم البحث الأكاديمي والتوثيق العلمي.
3. نقل تلك السنّة وأساليبها العملية نقلًا تربويًا.
4. السعي لنشرها عبر الوسائط المتعددة، وتبصرة الجمهور بالسنّة الموسيقية العربية.

يبيّن لنا الأستاذ كمال قصّار أيضًا كيفية تحقيق الهدف الأول، فيشرح آلية العمل على الوثائق القديمة المعرّضة لخطر التلف، وكيف يتم تحويلها إلى نمط تسجيلات عصرية سهلة السماع والتداول وصافية الصوت، وذلك عبر عدّة مراحل من التسجيل وإعادة التسجيل لإزالة أيّ تشويشٍ من التسجيلات الأصلية:

"لدينا في المؤسسة وحدتان للترقيم مجهزتان بأفضل المعدات المتوفرة عالميًا، ونحن نقوم دائمًا بتجديد هذه المعدات، بحيث نتمكن من رقمنة الأسطوانات والأشرطة الممغنطة بأفضل طريقة. إذًا، همّنا الرئيسي هو رقمنة التسجيلات الموجودة بحوزتنا. تقوم آلية الحفظ التي نتّبعها على تعدد أمكنة الحفظ وتعدد الوسائل، إذ نقوم بعملية الحفظ على أقراص صلبة (هارد ديسك)، وكذلك على أشرطة LTO التي تستعملها المصارف لحفظ أرشيفها".

تملك مؤسسة «AMAR» إحدى أكبر المجموعات من التسجيلات الموسيقية المصرية والسورية واللبنانية لفترة «عصر النهضة» في الموسيقى العربية.

عازف العود مصطفى سعيد

وعن حجم العمل المُنجز بعد نقله من بيوته القديمة المتداعية التي سكنها لزمنٍ طويلٍ إلى مساكنه العصرية، يُحصي رئيس المؤسسة أن مؤسسته حوّلت "ما يفوق 1000 أسطوانة، ومئات الساعات من التسجيلات الممغنطة، ونحو 500 "كباية" (Cylinder)، وهي وسيلة التسجيل السابقة للأسطوانة، والتي كانت شائعة في أواخر القرن التاسع عشر".

أما الصعوبة التي تواجه العمل على إنقاذ الأسطوانات القديمة وترميمها، فهي ليست قليلة، وخصوصًا أنَّ "99% من الأسطوانات الموجودة لدينا مستعملة. يحتاج عدد منها إلى عنايةٍ فائقةٍ بسبب تعرّضها لكسرٍ أو شطبٍ، ونحن نقوم بترميم الأسطوانة وتسجيلها. هذه العملية تتطلب كثيرًا من الوقت. وفي بعض الأحيان، يستغرق ترقيم أسطوانة واحدة يومًا كاملًا".

الحصول على التسجيلات وحجم الهبات

المحتوى الكبير الذي أصبح بحوزة المؤسسة يحتاج إلى رأس مالٍ مرصودٍ للشراء، إن كان الحصول عليه تمّ بالطريقة نفسها التي حصلت بها على مجموعة العناني.

سألنا قصّار عن حجم الهبات المقدَّمة إليهم في ظل الأزمات الاقتصادية والمعيشية التي تعيشها منطقتنا، وإمكانية تبرّع أشخاصٍ بأشياء يمكنهم بيعها وجني المال منها، فأجاب:

"معظم الأرشيف الموجود لدينا تم تكوينه من المشتريات التي نقوم بها في عدد من العواصم العربية. أما الهبات فهي نادرة. وفي معظم الأحوال قليلة العدد، إلا ما جاءنا من السيدة هبة فريد، حفيدة المطربة الراحلة نعيمة المصرية (1894-1976)، التي أودعت كل تسجيلات جدتها في المؤسسة".

وعند سؤاله عن المحتوى الأهم بين مقتنيات المؤسسة، يجيب قصّار بإجمالٍ كالأب الذي لا يرضى التمييز بين أولاده:

"المحتويات المهمة في أرشيفنا تتمثل بكل الأسطوانات التي سُجِّلت في أوائل القرن العشرين لرواد النهضة العربية. إنها تسجيلات نادرة ومهمة".

نشر الإصدارات وتوزيعها

لا تقتصر نشاطات المؤسسة في توزيع ونشر الموسيقى القديمة على إنتاج الأقراص المدمجة بعد نقل محتويات الأشرطة القديمة إليها. يتعدى الأمر ذلك إلى المشاركة في معارض عالمية وتنظيم وإقامة معارض أخرى.

ويضعنا المحامي والموسيقي في صورة نشاطات مؤسسته في السنوات الأخيرة: "بفعل إنتاج مجموعات الـCD، فإننا نتعاون مع موزّعٍ في فرنسا، يقوم بتوزيع منتجاتنا في أوروبا وأميركا واليابان. وقد شاركنا في العام 2018 في معرض مهم في مدينة برلين كان وقعه جيدًا جدًا، كما أقمنا في العام 2020 معرضًا ضخمًا في مدينة مرسيليا الفرنسية كانت نتيجته مرضيةً للغاية، إضافة إلى أننا نبيع باستمرار منتجاتنا، ونرسلها إلى جميع بقع العالم".

المشاريع المستقبلية

بعد سلسلة التسجيلات التي صدرت سابقًا، وكتابين صدرا عن دار "الساقي" بالتعاون مع المؤسسة وبتوقيع أعضاء منها، هما (يوسف المنيلاوي مطرب النهضة العربية) (2011) و(سامي الشوا أمير الكمان) (2015)، يضعنا قصّار في صورة مشاريع المؤسسة في المستقبل القريب، وما يتم العمل عليه داخل أروقتها حاليًا:

"لقد باشرنا منذ أكثر من شهر نشر حلقاتٍ إذاعية عن الشيخ زكريا أحمد في ذكراه. تتألف هذه المجموعة من 8 حلقات تم نشر 3 منها حتى الآن، فيما كان آخر إصداراتنا حول آلة العود وأهم عازفيها. تتميز هذه المجموعة عن غيرها بأنها تتضمن DVD عن صناعة آلة العود. كما أننا نتطلّع في المستقبل القريب إلى نشر مجموعة CD عن

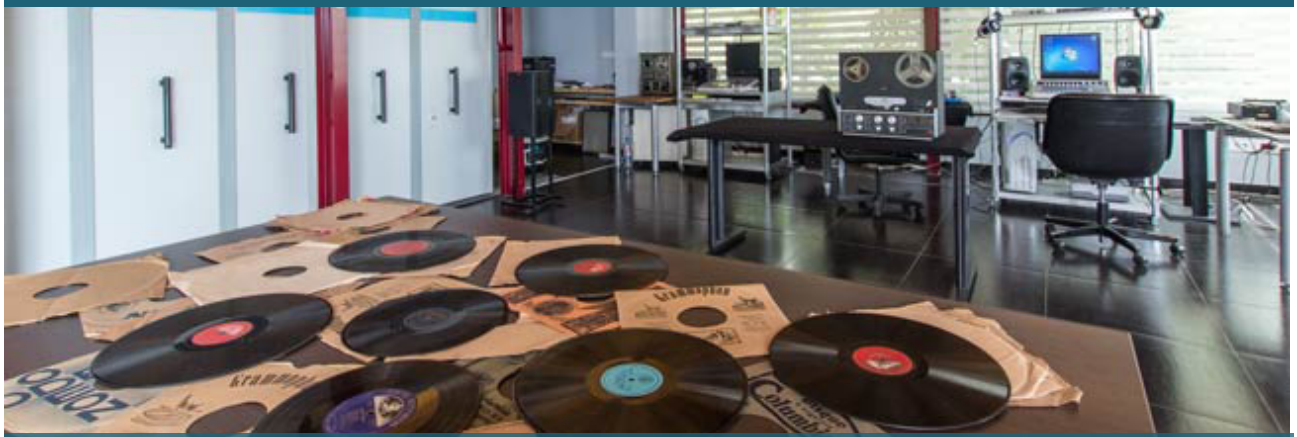

بعض الأقراص المدمجة التي تحتفظ بها مؤسسة AMAR

لدى مؤسسة AMAR وحدتان للترقيم مجهزتان بأفضل المعدات المتوفرة عالميًا

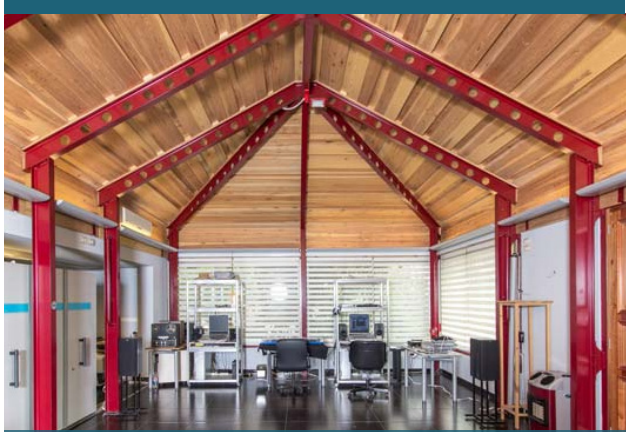

الأسطوانات التي سُجِّلت في أوائل القرن العشرين هي تسجيلات نادرة ومهمة

المطرب صالح عبد الحي".

مصطفى سعيد: المقيم في عالمٍ من الأنغام

يقوم محتجّون بقطع الطرقات بالإطارات المشتعلة اعتراضًا على الارتفاع المستمر وغير المسبوق للدولار أمام الليرة اللبنانية، ما يجعل مسألة التنقّل ضمن أحياء العاصمة بيروت، ومنها إلى الخارج، مسألةً تحتاج إلى متابعةٍ لصفحات وزارة الداخلية في مواقع التواصل الاجتماعي وإلى حساباتٍ غير مضمونة النتائج.

رغم ذلك، كان يمكن تدبّر أمر السفر إلى "قرنة الحمرا" في الجبل لو كان مصطفى سعيد، عازف العود ومؤسس فرقة أصيل للموسيقى العربية الكلاسيكية المعاصرة، موجودًا في مقر المؤسسة، وهو الذي يشغل منصب مدير قسم التوثيق والبحث فيها، لكنه في بلده الأم مصر، إضافة إلى وجود قصار في الإمارات، كما أشرنا سابقًا، واقتصار موظفي المؤسسة على موسيقي واحد يُسيّر الأعمال.

يجيب سعيد بلغة عربية تعود في أسلوبها إلى اللغة التي كانت مستخدمة في "عصر النهضة" الموسيقي الذي يختصّ بالغوص فيه، فعند سؤاله أولًا عن أهمية الدور الذي تؤديه "AMAR" في حفظ التراث وإيصاله إلى عالم اليوم، المتردّي ثقافيًا بشكلٍ عامّ، وموسيقيًا بشكلٍ خاص، يأتينا التحذير أولًا:

"اعلم أعزك الله التراث إذا أمسى صنمًا يُعبد، فحياته وموته سواءٌ، بل قد يكون موته أفضل من حياته، لأنّ حياته صنمًا تعني عنصريّة. لذا، إنّ الإرث إن لم يكن طريقًا للتجدّد، ومصدرًا للإلهام والأفكار، فلا داعي له بالنسبة إليّ".

ويضيف: "تُمَكِّنُ مؤسّسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربيّة الناس، قدر المستطاع، من سماع التسجيلات القديمة، ليس سماعًا مجرَّدًا بجودة تسجيلٍ عاليةٍ فحسب، إنّما سماعًا وراءه معرفة كلّ ما يخصّ هذا التسجيل: ظرفه التقنيّ، ومحيطه الثقافيّ، وظرف تسجيله من حيث مادّة التسجيل، وسبب وصوله بهذه الجودة بحسب ظرف كلّ عصر".

ويكمل شارحاً: "حدث هذا عبر إصدارات المؤسّسة النغميّة والمكتوبة، وزيادةً عليها سماع حلقات برنامجنا الموسيقيّ المنشور عبر موقع المؤسسة، والتي جُمِعَت تحت اسم "روضة البلابل"، تحيّةً لاسم أوّل مجلّةٍ تحدّثت عن الشأن الموسيقيّ في بلادنا في العقد الثاني من القرن الفائت".

وبالعودة إلى الهدفين الثاني والثالث من أهداف المؤسسة، المذكورين أعلاه، طلبنا من أستاذ الموسيقى في الجامعة الأنطونية سابقًا تفسير كيفية الاستفادة من محفوظات المؤسسة لأغراض أكاديمية وبحثية، فبدأ إجابته بانتقاد نظام التعليم المعتمد في الجامعات، ووصفه بالنظام الحَشديّ الأشبه بالعسكريّ، والذي كان الغرض منه إيجاد عمالةٍ تخدم أغراض الثورة الصناعية"، باعتبار أنها أسسته بعد قيامها، بحسب سعيد.

ويشدِّد في المقابل أن أي تطورٍ أو ارتقاء في أي مجال من مجالات الموسيقى هو حصيلة اجتهادٍ فرديٍ في الدرجة الأولى، إذ يرى "أنّنا نستطيع إيجاد نظامٍ علميٍّ يُبعث تطوّره من مبدأ المرشد والمريد"، وهو النظام التعليميّ الذي يجده أكثر نجاعة، لأنه يركّز على النوع والمستوى، لا على الكم والعدد، الأمر الذي يُعتبر مفيدًا لكلٍّ من الأستاذ والتلميذ، ويسمح بتطورهما.

ويوضح سعيد أنه يسعى لنشر هذا المبدأ من خلال العديد من الجامعات العالمية التي حاضر فيها، وكذلك في الجانب العملي، من خلال الفرق السمفونية الكبرى التي عزف إلى جانبها.

رأيٌ آخر

أردنا أخذ رأيٍ آخرَ من خارج المؤسسة، للتعليق على أهمية عملها والدور التوثيقي الذي تقوم به. سألنا الكاتب والصحافي المصري محب جميل، الذي صدرت له 3 كتب تندرج كذلك في إطار التأريخ الموسيقي لحياة مطربين من "عصر النهضة"، وهي (صالح عبد الحي فارس الطرب)، و(فتحية أحمد مطربة القُطرين)، و(محمد عبد المطلب سلطان الغناء).

يقول جميل: "ذلك الإرث الهائل من التسجيلات يحتاج بلا ريب إلى من يقوم بالحفاظ عليه، والعمل على تصنيفه وأرشفته بشكل احترافي، حتى لا يضيع في مهب الريح، كما حدث للأسف في حالات أخرى. وقد قامت مؤسسة البحث والتوثيق في الموسيقى العربية بدورٍ مؤثّرٍ ومهم منذ انطلاقها".

ويتابع المؤرخ الموسيقي الشاب، في معرض ذكره بعض الملاحظات على نواحٍ معينة في عمل المؤسسة: "لديَّ بعض المطالب التي أرجو أن تعمل المؤسسة على تداركها في المراحل المقبلة، ومنها إعادة النظر في أسعار إصداراتها، فقد بات من الصعب الحصول عليها في مصر على سبيل المثال، ولا توجد للأسف قنواتٌ محددةٌ أو مساراتٌ يتمُّ من خلالها الحصول على الإصدارات داخل القاهرة، سواء كانت مكتبات أو مراكز ثقافية أو تسويقية".

ويضيف: "كما أنني لاحظت أنَّ كلًّا من المطرب يوسف المنيلاوي والموسيقار سامي الشوا حظيا بكتابين وافيين ضمن المجموعة الصادرة عن سيرتهما، في حين أن باقي الإصدارات اقتصرت فقط على كتيب (كتالوغ) صغير الحجم، يحوي نبذة أو دراسة مصّغرة عن أصحابها، من دون أن أعرف السبب!

وأودُّ كذلك أن تقوم المؤسسة بتوسيع دائرة تواصلها مع باحثين من نطاقات مختلفة أو خلفيات معرفية أخرى لإنجاز إصداراتٍ مشتركةٍ".

ساري موسى: ساري موسى: صحافي وكاتب سوري. كتب في عدد من الصحف اللبنانية. صدر له مجموعة قصصية بعنوان «تعزيات الفشل».

للتواصل عبر الإيميل: sarimoussa90@gmail.com

لا يتجاوز عمر قرية النويدرات 400 سنة

ثقافة أرشيفية

الكتاب المخطوط في قريـة النويدرات

يوسف مدن

عرفت البشرية منذ فجرها المبكر حركة الكتابة بخط اليد، ولم تختلف الكتابة في قرى البحرين عن سائر المجتمعات الإنسانية، إذْ كانت الكتابة اليدوية هي السائدة، وشاع الكتاب المخطوط بحالاته وأشكاله المختلفة.

وقد شهد في تاريخه بعد ظهور آلات الطباعة حالات تراجع ملحوظة. ورغم ذلك، بقيت المخطوطات عملًا ثقافيًا مقدسًا ومحترمًـا، ويحظى باحترام العلماء والمحققين وتبجيلهم لقيمته العلمية، ولا سيما في قرية النويدرات؛ إحدى قرى البحرين.

التَّاريخ المخطوط في البلدة

النويدرات ليست قرية قديمة في وجودها التاريخي، فعمرها التقديري، بحسب بعض الوثائق، لا يتجاوز 400 سنة، وربَّما أكثر قليلًا. احتاج إنسانها لكتابة بعض أموره الخاصة والعامة بخط يده في أوراق ومستندات ورقية، وفي شكل قصائد شعر وكتب ومعاملات مالية، وحفظ بهذه الطريقة شيئًا من حقوقه، وبعضًا من مخطوطاته لدى بعض الأهالي، لكن من المؤكد أنَّ الكثير ضاع منه أيضًا.

وقد وجدنا في تراث أهالي النويدرات عددًا من مخطوطاتهم، كالكتب التي نُسخت بوجه خاص، والأوراق الخطية الورقية في المعاملات المالية، والإشارة إلى عملات النقد المستخدمة. وفي قضايا المصالحات الاجتماعية، وجدنا وثيقة خطية مؤرخة بسنة 1142هـ/1729م وغيرها. ولسوء الحظ المتعثر، لم يستطع الناس حفظ كل ما كتبوه، بل ضاع منه الكثير بالإهمال والنسيان والتلف الورقي وعدم العناية بالمخطوط. وتعبر كل الصور التي ذكرناها عن مجموع تراث خطي له تاريخي عثرنا على بعضه بلا شك، وفُقِد بعضه الآخر.

لهذا، أكدنا وجود تاريخ للمخطوط في النويدرات كسائر البلدات البحرانية، وكان أبرزه ما كتبه بعض الخطاطين من التراث الروحي والثقافي والاجتماعي لأهالي القرية المذكورة في سنوات متفرقة من القرن الرابع عشر الهجري، والسنوات الثلاثين من القرن الخامس عشر الهجري، من تاريخ أول وثيقة خطية تعرفنا إليها سنة 1142هـ/1729م إلى آخر ما كتبه الحاج عبد الله بن محمد الدولابي قبل وفاته، وهو آخر من اشتغل بالخط بين أهالي النويدرات؛ ففي هذه الفترة وما قبلها، كانت هناك كتابات، عرفنا بعضها وضاع بعضها الآخر، وأسمينا هذه الفترة بتاريخ المخطوط. بالتأكيد، كانت هناك كتابات خطية قبل العام 1142هـ لكن لا أدلة بين أيدينا على وجودها القطعي المؤكد.

أهمية المخطوط

تداول الناس، وما يزالون، هذا الأثر باسم "مخطوط، مخطوطة، مخطوطات"، وجميعها مشتق من الفعل الماضي "خَطَّ"، أو من الفعل المضارع "يَخُطُّ، تخِطُّ"، بصف الحروف وانتظام الألفاظ وربطها، وبروز معانيها في جمل وعبارات وفقرات.

وتكمن أهميتها في دورها في اطلاع على نوع الثقافة السائدة (الدينية والتاريخية والأدبية) التي اهتم بخطها الناسخون من أهالي النويدرات، والحفاظ على بعض ما يكشفه الباحثون من مصادر التراث الروحي والفكري والاجتماعي لأهالي البلدة المخصوصة، وغالبه منتشر بين أهل العلم بين البحرينيين في الجانب الديني والأدبي والتاريخي، والاستفادة الممكنة من المخطوط كمصدر تاريخي ومعرفي في الكشف عن معلومات مهمة من تاريخ أهالي البلدة.

أنواع المخطوطات في تراث الأهالي

هو بنحو عام تراث ثقافي وروحي تركه أهل البحرين وما يزالون يشتركون فيه، وليس أهالي النويدرات أو غيرهم من أبناء القرى البحرانية بدعًا عنهم. ويمكن بإيجاز الإشارة إلى نوعين أساسيين من مخطوطاتهم، هما:

المخطوط الأصل

هو "المخطوط الأم" الذي كتبه المؤلف ومصنف الكتاب أو الرسالة والقصيدة وغيرها بخط يده، وأبقاه في خزانته أو في خزانات الناس. هذا النوع من المخطوطات لم نعثر فيه على نص لكتاب كامل، إنما عثرنا على قصائد في المدح والثناء والنعي.

المخطوط المنسوخ

هو ما يُسمى بنسخ الكتب والقصائد وجلوات المدح والثناء وغيرها، أي كل ما ينسخه شخص من الأهالي وغيرهم في فترة معينة لأي أثر ثقافي، ومنهم العلماء أو الخطاطون الذين اشتغلوا بالكتابة، وبخط اليد، في نقل المخطوط الأم (الأصل) ليكون نسخة جديدة، وذلك بنقل الناسخ موضوعاته ومادته الفكرية (كلمة كلمة وحرفًا حرفًا)، ويقابل فيه الناسخ بين "الكتاب الأصل" و"مخطوطته الجديدة" المنقولة عنه.

هذا النوع شائع على نطاق ملحوظ في مصادر الثقافة المحلية لأهالي النويدرات، ومنتشر بين خطاطي القرية (المشتغلون بالنسخ) في سنوات متفرقة من القرن الرابع عشر الهجري، وفي العقود الثلاثة الأولى من القرن الخامس عشر الهجري، وهو ما ركزت عليه مقالتنا.

طرق تملك المخطوط ونقل ملكيته

يتم تملك الكتاب المخطوط بين أهالي النويدرات وغيرهم من البحرينيين عبر طرق شائعة بينهم ومتداولة مثل:

1. التأليف والنسخ: وهي خاصة بأهل العلم والأفراد المشتغلين بنسخ الكتب والرسائل والآثار الثقافية، فالمؤلف يملك نسخته بعد فراغه من تصنيفه، وكذلك يقوم الناسخ والخطاط بنسخ ما يريد تملكه من الكتب المخطوطة.
2. بيع الكتاب (المؤلف والمنسوخ) وأخذ أجرته كثمن له وعوض مادي بالعملة النقدية.
3. المبادلة، وهي نظام المقايضة السائد بين مجتمع زمان في

البحرين، ومنهم أهالي النويدرات، وفكرته قائمة على فكرة: "أعطنا هذا الكتاب، نعطِك سلعة تحتاجها"، وهذا ما حدث في النويدرات فعلًا.

4. الهبة. قد يهب المصنف كتابه لأحد أو يقوم الناسخ بمثل فعله.
5. الوقف الشرعي للكتاب، فبعد تملك الكتاب المخطوطة بأي طريقة، يُوقف بعض الأشخاص الكتاب المخطوط لجهة محددة، كالمأتم (في غالب الأمر)، وأي مجلس يذكر فيه أهل البيت (ع) في أحد البيوت.

حالات وشواهد من تملك الكتاب المخطوط ونقل ملكيته وأخذ الأجرة عليه

وضعنا أمام نظر القارئ الكريم بعض المستندات في طرق تملك المخطوط ونقل ملكيته، سواء بـ"الأجْرَة" المادية بعملات نقدية شائعة آنذاك في زمانهم قبل قرن وأكثر أو غيرها، ولا تحتاج هذه المستندات إلى كثير من القول للاستفادة من ألفاظها، فمادتها التاريخية واضحة، وهي في ظاهرتين:

- أجرة المخطوط وتملكه.
- الوقف الشرعي للكتاب (صيغة تملك أخرى عن طريق الوقف الشرعي).

وسنكتفي بعرض مستندات تاريخية في تملك المخطوط بدفع أجرة عنه أو تملكه بطرق أخرى.

المستند الأوَّل (أجرة مخطوط تاريخه سنة 1318هـ).

وجدت على ظهر غلاف أحد المجلدات "مقتل الحسين برواية أبي مخنف"[1]، وبخط الشيخ علي آل سليم الستري البحراني، حاشية مفيدة بأجرة مخطوط. تم شراؤه بعملة شائعة في البحرين آنذاك، وكان تاريخها "غرة شهر ربيع الأول سنة 1375هـ/الموافق يوم 18 تشرين الأول/أكتوبر 1955م".

أمَّا تاريخ نسخ الكتاب، فقد كان سابقًا لتاريخ دفع الأجرة، إذ نسخ سنة 1318هـ/1900م. ولا يستبعد أن الكتاب "المنسوخ" تم تجديد نسخه. والملاحظ هو وضع تاريخ شرائه بالأجرة المكتوبة على ظهر غلافه من الجهة اليسرى، كما في المقطع الذي نعرضه للقارئ الكريم الآن، وذلك بالتاريخ المذكور. ولعل هذا تاريخ آخر عملية بيع وشراء للكتاب المخطوط الآنف الذكر.

ومن المرجح أن الحاشية كتبها البائع أو المشتري على الطرف الأيسر من الغلاف (الصفحة الأولى من المجلد الخطي). بقيت هذه الحاشية مع بقاء المخطوط في بيت أحد أبناء صاحب مأتم "البربوري" في قرية النويدرات المعمورة لفترة طويلة، ونقلت إلى المأتم.

ساعدني أحد أبناء العائلة على الاطلاع عليه، ولا يزال الكتاب بحوزة المأتم في النويدرات، وهو يحتفظ بهذا النموذج الخطي في حاشية صغيرة في المجلد المخطوط. وتحدد "أجرة شراء نسخة كتاب مقتل الحسين" بـمبلغ نقدي هو ثمن الكتاب، "وعَـدّه أربع روبيات وأربع آنات"، وهي عملة بريطانية - هندية متعامل بها في البحرين آنذاك، كما بينته هذه الوثيقة الخطية، وتعادل اليوم 425 فلسًا، وهو مبلغ ليس هيِّنًا قبل أكثر من 67 سنة.

المستند الثاني (تملك مخطوط سنة 1327هـ)

كان نص هذا المستند هو الآخر "حاشية صغيرة ومتأخرة ملحقة" بآخر صفحات المجلد المخطوط "مقتل الإمام الحسين" برواية أبي مخنف، لكن بخط ناسخ آخر من أهالي النويدرات، هو المرحوم الملا والخطيب الحاج حبيب بن يوسف بن الحاج أحمد بن الشيخ يوسف بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله النويدري، والعكري أصلًا، إذ نسخ كتاب "مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)" لأبي مخنف.

وكان تاريخ الفراغ من نسخ هذا الكتاب يوم العاشر من شهر جمادى الأولى سنة 1327هـ وتوافق يوم الأحد 30 أيار/مايو سنة 1909م.

كتبت الحاشية في الطرف الأيمن من آخر صفحة في الكتاب المخطوط المذكور، وهي تشير إلى تملك الرجل المكرم الحاج حسن بن مرهون للمخطوط المُشْترى، من دون ذكر سعر الشراء، وعمرها اليوم حوالى 115 سنة هجرية من تاريخنا الهجري الآن (1442هـ).

ويبدو أن تاريخ كتابة هذه الحاشية مرتبط بتاريخ قريب جـدًا من تاريخ نسخ هذا الكتاب، وربَّما كتبها ناسخ الكتاب في اليوم نفسه، والله أعلم، إذ قال الناسخ للكتاب المخطوط مـا لفظه: "وقد دخل في ملك الرجل المكرَّم حسن بن مرهون آل صالح النويدري البحراني" بتاريخ العام 1327هـ.

ويلاحظ من كلمات هذه الحاشية أنَّها إشارات إلى طريقة نقل ملكيته من دون تحديد سعر نقدي لأجرته أو طريقة شراء، وذكرت مباشرة مسألة "تملُّك الكتاب" ليكون في يد الرجل المكرَّم حسن بن مرهون آل صالح النويدري البحراني، بيد أنَّ الحاشية لم تكشف عن كيفية دخوله في ملكية الرجل المذكور بالبيع والشراء أو بالإهداء أو بصيغة اتفاق أخرى، كمبادلة الكتاب بِعَوَض وثَمَن على نمط المقايضة مثلًا، ولم تحدد الحاشية نوع الفائدة من الكتاب، ولكن في النهاية تمّتَ بنص الحاشية "نقل ملكيَّة الكتاب المخطوط" للمشتري مع دفع أجرة وثمن.

المستند الثالث (تملك مخطوط بتاريخ سنة 1366هـ)

جاء هذا المستند في حاشية صغيرة موجودة في صفحة منفردة في مجلد مخطوط يملكه أحد ناسخي الكتب في النويدرات، هو المرحوم الحاج جعفر بن حسن بن عبد الله بن عبد الله بن علي بن سرحان، فالحاج جعفر آل سرحان، كما ذكر (ره) في حاشيته، "تملك المجلد الخطي المذكور"، وأوضح ذلك في أول صفحة منه في حاشية قصيرة، وتاريخها اليوم السادس من شهر رجب سنة 1366هـ (الموافق ليوم 26 أيار/مايو 1947م).

وقد قال في محتوى الحاشية المذكورة: "قد دخل هذا الكتاب في ملكية جعفر بن حسن آل سرحان العكري أصلًا، والنويدرات مسكنًا، غفر

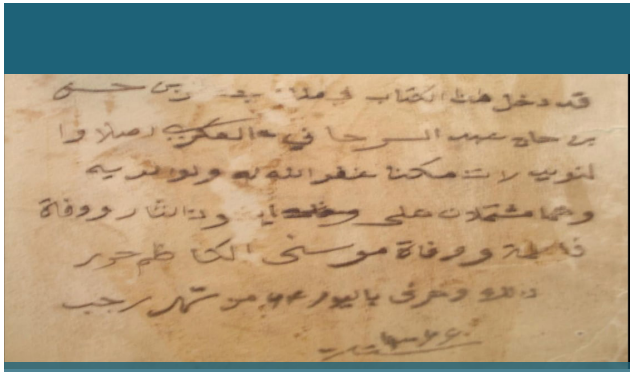

المستند الثالث (تملك مخطوط بتاريخ سنة 1366هـ)

الله له ولوالديه، وهما مشتملان على أخذ الثأر ووفاة فاطمة، ووفاة موسى الكاظم، حرر ذلك .... باليوم 6 من شهر رجب 1366م"، ولم يحدد طريقة تملكه بالشراء أو غيره، وكان غرضه من تملكه استخدامه في عمليات نسخ المجلد وبيعه للناس.

الهوامش:

1. اسمه لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة الأزدي الغامدي.

يوسف مدن: كاتب وباحث ومحقق بحريني. ألف العديد من الكتب ذات الطابع التاريخي، من بينها «دراسة عن العلماء والأسر العلمية في قرية العكر البحرانية»، ونشر العديد من المقالات والدراسات في مواقع مختلفة.

للتواصل عبر الإيميل: yousef.madan@gmail.com

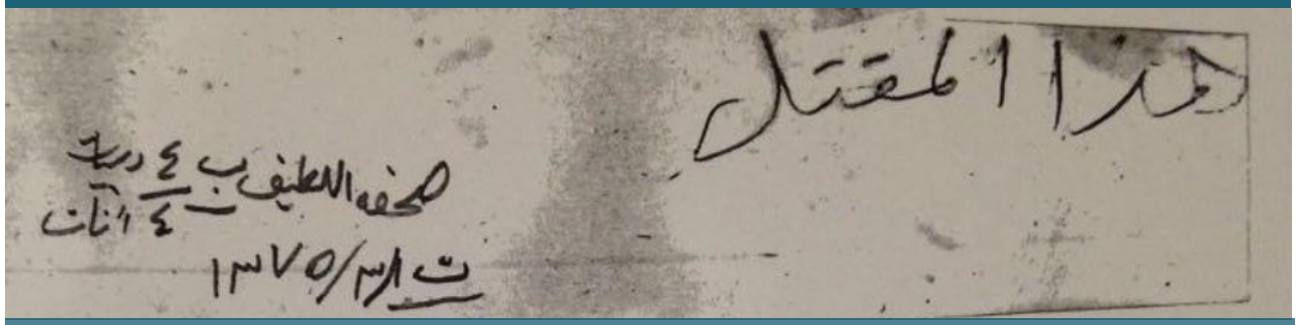

المستند الأوَّل (أجرة مخطوط تاريخه سنة 1318هـ)

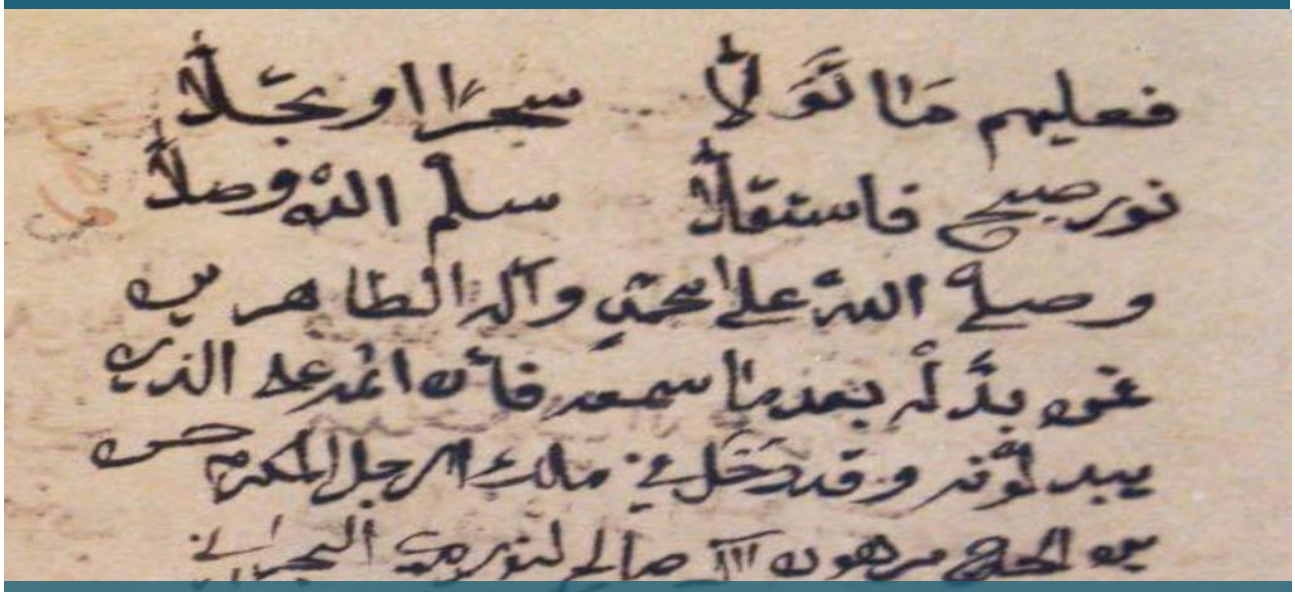

المستند الثاني (تملك مخطوط سنة 1327هـ)

تجربتي في التوثيق والأرشفة في النبطية وجنوب لبنان

علي حسين مزرعاني

وطنٌ بلا ذاكرة هو وطنٌ بلا هوية، ووطنٌ بلا وثائق وأرشيف هو وطنٌ بلا تاريخ. الأرشيف والوثائق هما حافظة الذاكرة الوطنية والمحلية. ولا شك فيه أن الأرشيف والتوثيق لهما دور كبير في صناعة التاريخ والأدب والثقافة. على الصعيد المحلي، لا نستطيع كتابة تاريخ مدينة أو بلدة صغيرة من دون الاستناد إلى وثائق أو صور أو معلوماتٍ مؤرشفة أو أخبار صحف قديمة وبيانات وغيرها، وأيضًا يجب أن لا ننسى الذاكرة الفردية لكبار السن، لما فيها من مخزون شفهي يجب تدوينه والارتكاز عليه أحيانًا.

أطل من خلال هذه المقدمة على تجربتي الشخصية مع الأرشفة والتوثيق والتصوير في حفظ ذاكرة النبطية والجنوب اللبناني، وإفادتي منها في سبيل تطوير الثقافة المحلية والوطنية، والتي بدأت مع وعيي بما يحصل معي من أحداث شخصية طفولية، ثم وعيي بما يحصل في المحيط القريب والبعيد من أحداث وتطورات أمنية وسياسية.

بدأت بتوثيق ذلك، كتابةً وصورةً، في عمر 13 عامًا، مع بداية الاعتداءات الإسرائيلية على مدينة النبطية، وعلى قرى جنوب لبنان كلها. بدأت بجمع الصحف والبيانات لتوثيق الأخبار. بعدها، صرت التقط صورًا للأحداث المحيطة بنا، ثم عدت إلى الوراء، وأخذت أجمع معظم ما كتب عن أحداث وتطورات في النبطية بشكل خاص، وجنوب لبنان بشكل عام، منذ مطلع القرن العشرين، وواظبت على هذه المهمة لغاية تاريخه، لأنني اعتبرتها مهمة وطنية في سبيل الحفاظ على ذاكرتنا بحلوها ومرها من الضياع.

بعدها، توقفت مليًا أمام هذا الكم الكبير من الوثائق والصور والأخبار، فقلت في نفسي: ما نفع هذه الأشياء إذا بقيت محفوظة في بطن المكتبة والأدراج، من دون الاستفادة منها وإفادة الغير بها؟ خفت أن تضيع، وخصوصًا أننا دائمًا نعيش الحروب والاعتداءات الإسرائيلية المدمرة، ويضيع تعبي معها، بفعل قذيفة غادرة أو صاروخ.

كانت الخسارة الكبيرة التي لا تُعوض هي فقدان وثيقة أو صورة لا يوجد منها سوى نسخة واحدة، وكم فقدنا من مخطوطات ووثائق في جبل عامل منذ عهد الجزار! وكم من مكتبات نُهبت أو أحرقت بفعل الحروب الداخلية والخارجية أو أتلفت بأيدي الورثة!

وكي لا يضيع تعبي، بدأت بترتيب أرشيفي الذي جمعته طيلة سنوات عن مدينة النبطية، وشرعت في إعداد كتاب "النبطية في الذاكرة 1860 – 1999"، الذي كان حدثًا ثقافيًا بارزًا بحد ذاته، لكونه الكتاب الأول الذي يصدر عنها، وهو مؤلف من 500 صفحة، ويضم حوالى ألف صورة ووثيقة. وبذلك، عملت على حفظ ذاكرتها من الضياع. وقد أصبحت النبطية تتباهى بهذا الإنجاز الثقافي والأدبي، وبتاريخها الذي كاد يضيع أو يندثر لولا صدور هذا الكتاب.

بعدها، كان كتاب "قضاء النبطية في القرن العشرين" الذي صدر في العام 2000، وهو سجلٌ لأهم الأحداث الاجتماعية والثقافية والعمرانية والأثرية في 42 قرية في قضاء النبطية. حفظت هذه المعلومات في مجلدٍ فخم، ليبقى وثيقة للأجيال القادمة، تبني عليه وتتابع كتابة تاريخ كل قرية أو دسكرة، وتحفظ ذاكرتها من الضياع، وهذا ما نتمناه ونشجع عليه المثقفون والمؤسسات في كتابة تاريخ قراهم ومدنهم.

ولما كان الجنوب غنيًا بالأحداث والوقائع والنشاطات في نواحٍ شتى، فقد صدرت مئات الكتب عنه، والتي ألفها أبناؤه وكتّاب آخرون، من بينهم كتاب أجانب، وبلغات مختلفة. من هنا، كان لا بد من كتاب يوثق هذه المطبوعات، ويحفظ ذاكرتنا الثقافية، وخصوصًا أن العديد من هذه الكتب لم تعد موجودة إلا في عدد قليل من المكتبات أو البيوت، فكان مجلد "فهرست جبل عامل 1906 – 2013"، الذي يضم بين دفتيه كل ما صدر عن جبل عامل ولبنان الجنوبي من كتب تناولت أحداثه وتاريخه وأشخاصه وقراه، وحتى الصحف والمجلات التي صدر عنه، ثم صدرت طبعة جديدة ضمت كل الكتب التي صدرت حتى أواخر العام 2017. وقد أصبح هذا

كتاب «النبطية في الذاكرة 1860 - 1999» هو أول كتاب يصدر عن مدينة النبطية، وهو مؤلف من 500 صفحة، ويضم حوالى ألف صورة ووثيقة.

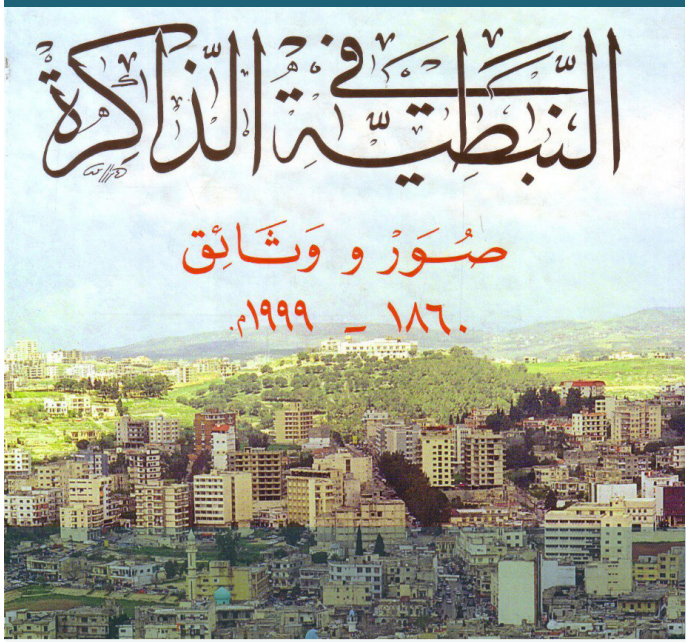

صدر كتاب «النبطية في الذاكرة التوثيقي» عام ١٩٩٩

الفهرست دليلًا ومرجعًا جنوبيًا ومكتبة متنقلة لنحو 1500 عنوان تناول لبنان الجنوبي.

كرّت السبحة مع الكتب الوثائقية المصورة، فكان كتاب "النبطية، العمران والمكان والذاكرة"، الذي حفظ ذاكرة العمارة في النبطية بالصورة، من خلال 40 عامًا من التقاط الصور للمدينة وأحيائها ومنازلها التراثية وتطور العمارة فيها. كذلك، تناولنا الآثار الموجودة حولها منذ ما قبل الميلاد، فكان هذا المجلد حافظًا لتراثها وهويتها العمرانية عبر مئات من الصور بالأبيض والأسود والألوان. وقد صدر في العام 2013.

وأخيرًا، تبعه كتاب "الإعلام والتوجيه في الجيش اللبناني 1942 – 2016"، وهو نتاج بحث وتوثيق لتاريخ مجلتي "الجندي اللبناني" التي صدرت في العام 1942، و"الجيش" التي صدرت في العام 1984 عن مديرية التوجيه في الجيش اللبناني، وتاريخ الملصقات العسكرية. وقد جاء هذا الكتاب تحية وفاء لذكرى 33 عامًا قضيتها في السلك العسكري.

وبعد هذا الإنتاج الأدبي والثقافي الذي صدر، وما سيصدر بعده، نشدد على أهمية الأرشفة والتوثيق في حفظ تاريخ الشعوب والأوطان من الضياع ومن تزوير تاريخها، فالوثيقة هي حقٌّ واضحٌ في وجه كل معتدٍ أو ظالمٍ، وخصوصًا أننا في وطن على خط زلزال، وقرب عدوٍ غاصب لا يرحم، دمّر تاريخنا وأرشيفنا وسرق وثائقنا وزورها، كما فعل في فلسطين، وكما يفعل الكثير في عالمنا العربي.

علينا أن نشجع على قيام مؤسسات تتولى هذه المهمة الوطنية كي تحفظ ذاكرتنا للأجيال القادمة، بالتعاون من الأفراد المخلصين والمتحمسين، وهم قلة، رغم نجاحهم، ولكن التعاون هو الأساس في سبيل بناءٍ ذاكرةٍ وطنيةٍ سليمةٍ.

علي حسين مزرعاني: باحث ومؤرخ لبناني. صدر له عدد من الكتب التوثيقية والتأريخية، من بينها «النبطية في الذاكرة» و«قضاء النبطية في قرن 2000-1900»، و«النبطية بين السياسة والأمن 2014-1881».

للتواصل عبر الإيميل: alimazraany@hotmail.com

مناجم الملح
مراكز آمنة للأرشيف

محمود عواد

إذا كانت الأحداث البشرية هي التي تصنع الأرشيف، فالأرشيف بدوره يعيد تشكيل الأحداث، ليساهم في تحديد رؤية مستقبلية لتطور الإنسان وتقدمه. من هنا، كانت العلاقة وطيدة ومتكاملة بين الأرشيف والتاريخ.

كل حديث عن حفظ المستندات والقطع الأثرية وغيرها من المقتنيات القيّمة يقودنا مباشرة إلى الحديث عن التحديات التي تواجهنا في هذا المجال. ومهما تعددت وتعقدت، يبقى الإنسان حاضرًا في ابتداع حلول لهذه المشكلات، ولعل أكثرها إبداعًا فكرة تحويل مناجم الملح الصخري إلى مستودعات، لما تؤمّنه من عوامل طبيعية تشكل البيئة المثالية لحفظ الوثائق والمستندات واللوحات الفنية.

إننا نتحدث هنا عن مستودع لإدارة الأرشيف والسجلات، على عمق نحو 150 مترًا تحت الأرض، في منجم وينسفورد للملح الصخري في المملكة المتحدة البريطانية.

مدينة وينسفورد في مقاطعة تشيشير التي تقع شمال غرب إنكلترا هي موطن لأكبر منجم للملح الصخري في المملكة المتحدة البريطانية، ومقر لعملية تخزين فريدة من نوعها. هذا المنجم هو واحد من 3 مناجم يتم استخراج الملح الصخري منها تجاريًا في المملكة المتحدة. تكوّن هذا الملح الصخري منذ ملايين السنين، بحيث انتقلت مياه البحر إلى داخل اليابسة، ما خلق سلسلة من البحيرات المالحة الضحلة التي شكّلت رواسب عميقة من الملح الصخري بعدما تبخرت هذه البحيرات.

منجم وينسفورد تاريخيًا

بدأت أعمال استخلاص الملح في مدينة وينسفورد في القرن السابع عشر. كان في بادئ الأمر ملحًا للحيوانات. في العام 1844، افتتح منجم وينسفورد للملح الصخري، وهو اليوم أقدم منجم بريطاني، وما زال مستمرًا بالعمل.

ينتج المنجم مليون طن من الملح الصخري سنويًا، يُستخدم في إزالة الجليد على الطرق في موسم الثلوج في المملكة المتحدة. يضم المنجم شبكة لأكثر من 260 كلم من الأنفاق، تقع على مساحة كيلومترات مربعة تحت المنطقة الواقعة بين وينسفورد ونورثويتش.

منشأة DeepStore لحفظ السجلات والأرشيف

تشغل جزءًا من المنجم شركة "ديب ستور" DeepStore، أي المخزن العميق، بسبب وجود مستودعاتها على عمق 150 مترًا تحت سطح الأرض. هي شركة لإدارة السجلات تقدم منشأة تخزين آمنة بسبب توفّر الجو الجاف والمستقر طبيعيًا الذي يشكّل ظروفًا مثالية لحفظ المستندات وتخزينها على المدى الطويل.

يعرّف المجلس الدولي للأرشيف الحفظ بأنه عملية أرشيفية أساسية تتمثل بتخزين سجلات الأرشيف وحمايتها. وفي هذه المنشأة، ثمة ميزة لم تعد تتوفر في معظم المكتبات ومراكز المعلومات حول العالم، هي المساحة غير المحدّدة، وذلك بسبب استمرار أعمال الحفر في المنجم لاستخراج الملح، وبالتالي تشكّل مساحات جديد للحفظ.

توفّر هذه المنشأة درجة حرارة ثابتة تتراوح بين 14 و15 درجة مئوية، ورطوبة ثابتة تبلغ 55%، وهي بيئة جافة نسبيًا تناسب حفظ الوثائق. كل ذلك بشكل طبيعي، من دون تدخل أي تجهيزات. وبناء عليه، يتم التحكّم في جودة الهواء والحرارة والرطوبة ورصدها في كل الممرات والغرف داخل المنجم، وتستخدم فلترة مزدوجة لتنقية الهواء من أية شوائب ناتجة من أعمال الحفر.

توفر هذه البيئة الطبيعية الحماية الضرورية ضد تغيّر المناخ والمخاطر البيئية، مثل الأشعة فوق البنفسجية والفيضانات التي قد تطال منشآت التخزين الموجودة فوق الأرض، وهي بحاجة إلى تجهيزات كثيرة ومكلفة للحد من هذه المخاطر. لذا، تشكل هذه المنشأة على عمق 150 مترًا الخيار المفضّل للعديد من المتاحف والمكتبات والمؤسسات التاريخية، مثل الأرشيف الوطني البريطاني الذي يحفظ جزء من مجموعاته في هذه المنشأة، أي "DeepStore".

هذا المكان آمن، ولا يدخله إلا الموظفون الذين يستخدمون بطاقات تعريف محددة تمكّنهم من الوصول إلى المجموعات في كل غرف المنشأة. وبسبب مساحة التخزين التي تصل إلى 700 ملعب كرة قدم، فإن وسائل النقل الموثوق بها تشكل جزءًا أساسيًا من المعادلة. لذا، توظف الشركة أحدث التقنيات لضمان أقصى قدر من الأمن، ولضمان استعادة المجموعات بشكل سلس. ويوفر نظام الترقيم "باركود" أحدث البيانات المتعلقة بجميع العناصر المخزّنة، ويمكن الوصول إلى الأصول واسترجاعها في أي وقت من خلال مسح ضوئي لهذا "الباركود".

تتألف المنشأة من غرف تخزين متعددة تحفظ فيها مجموعات من المستندات والكتب والوثائق وغيرها من المقتنيات المختلفة غير الورقية، من لوحات فنية، وقطع واكتشافات أثرية، وعيّنات جيولوجية، ووسائط إلكترونية، ونماذج الهندسة المعمارية، إلى جانب الآلاف من السجلات والوثائق الورقية. كما توفّر المنشأة وحدات تخزين خاصة للمجموعات التي تحتاج إلى حفظ في حرارة منخفضة حتى تحت درجة الصفر.

يحمل كل صندوق حافظ للسجلات رقمًا تسلسليًا (باركود) فريدًا، من دون أي تعريف أو كتابة على الصندوق، وذلك حفاظًا على خصوصية الوثائق والمقتنيات المحفوظة داخل هذه

الصناديق العالية الجودة التي تؤمّنها المنشأة.

تحرص الشركة على تأمين كل الاحتياجات لعملية التخزين، من العوامل الطبيعية إلى التقنيات التي تسخّرها لتقديم حلول تخزين مصممة بحسب طلبات عملائها، كما تقدم قيمة مضافة خاصة للزبائن الذين يسعون إلى الحفظ الطويل الأمد للوثائق والقطع الأثرية وغيرها من المواد.

من هنا، كانت هذه المنشأة بمنزلة "العلّية" لبريطانيا، فكل من القطاعَين العام والخاص أصبحا يعتمدان عليها في الحفظ الطويل الأمد لمقتنياتهم المهمة، فيتم تخزين الملفات الحكومية السرية، وسجلات المرضى التابعة للمستشفيات والمراكز الطبية، ووثائق أقسام الشرطة، ومستندات الجامعات، إضافة إلى المحفوظات التاريخية من مؤسسة الأرشيف الوطني البريطاني "The National Archives".

تخزّن المنشأة كذلك مجموعة خاصة بمكتبة الجمعية الملكية البريطانية "Royal society"، وهي واحدة من أقدم الهيئات العلمية في العالم، وذلك بسبب افتقار الحيز المكاني في المبنى التاريخي للجمعية، فتقوم الجمعية بتخزين المجموعات التي لم يتم معالجتها فنيًا أو فهرستها أو حتى المجموعات المُفهرَسة. وعند طلب أي مستند، توفّر منشأة "DeepStore" خدمة إيصالها إلى الجمعية بشكلها الأصلي أو نسخة إلكترونية منها.

هل تناسب ظروف هذا المنجم معايير حفظ الأرشيفات؟

هنا، لا بد من اللجوء إلى الجهات الدولية المتخصصة للاطلاع على معايير الحفظ والتخزين، ومن أهمها الاتحاد

يشكل منجم الملح على عمق 150 مترًا الخيار الأمثل للعديد من المتاحف والمكتبات والمؤسسات التاريخية، مثل الأرشيف الوطني البريطاني.

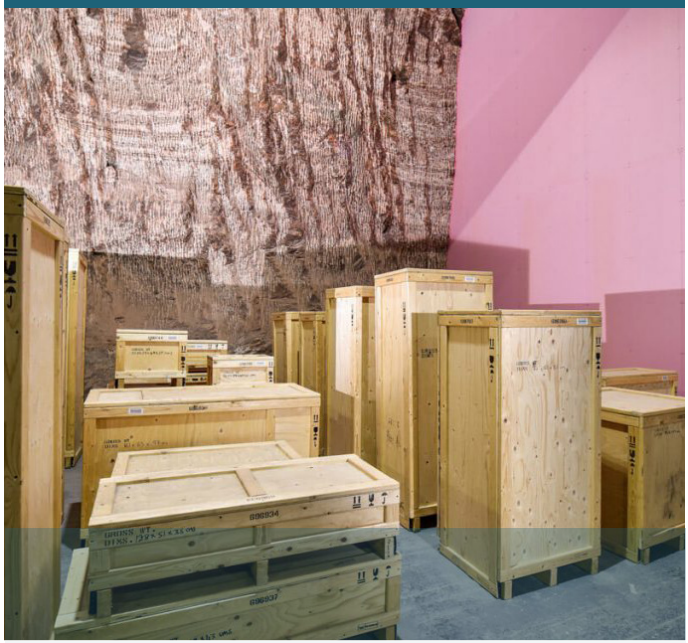

تقع مستودعات منشأة DeepStor على عمق 150 مترًا تحت سطح الأرض

الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات (إفلا)، وهو كيان مسؤول عن تشجيع المبادئ المهنية الخاصة بمهنة المكتبات ونشرها عبر قنواته المتعددة. ومن هذه المبادئ صيانة مقتنيات المكتبات المتنوعة والمحافظة عليها.

نشرت "مبادئ صيانة مواد المكتبات والمحافظة عليها" لأول مرة في دورية اتحاد الإفلا، العدد الخامس العام 1979، ومن ثم تم تنقيحها وإثراء محتواها وتحديثه على عدة مراحل، بحيث تم في العام 1994 تأسيس "البرنامج الأساسي لصيانة مواد المكتبات والمحافظة عليها" (IFLA-PAC)، وإجراء دراسة بين المتخصصين في مجال الصيانة، الذين ينتمون إلى شريحة واسعة من المؤسسات ذات الصلة، مثل المجلس الدولي للأرشيف والمركز الدولي لصيانة مواد المكتبات، بهدف إلى الاستماع إلى آرائهم وتحديث هذه المبادئ ونشرها.

تتضمن هذه المبادئ أهم التهديدات التي تواجه مواد المكتبة، والتي تتمثل بطبيعة المادة نفسها، والكوارث الطبيعية والبشرية، والبيئة التي تحفظ فيها. أما أبرز العوامل المؤثرة في مقتنيات المكتبات والمخطوطات التي نحفظها، فهي العوامل الطبيعية، مثل الحرارة والرطوبة، وهما عاملان متلازمان؛ فالرطوبة تؤدي إلى إتلاف الورق، وتكوّن بقع ترابية مائية نتيجة ترسب الغبار والأتربة على الأوراق، وتعتبر جوًا ملائمًا للحشرات التي تقضم الورق وتتلفه، في حين أن ارتفاع درجات الحرارة يؤدي الى إصابة الأوراق بالهشاشة ويجعل الأوراق قابلة للكسر عند ثنيها.

من جهة ثانية، يؤدي الضوء إلى تغيير ألوان الورق وانحلال خطوطها، بحيث يتفاعل الضوء مع شوائب الورق، ما يتسبب بظهور بقع صفراء، وخصوصًا في الأماكن التي تتعرض لكثير من الضوء. وتتمثل العوامل البيولوجية بالكائنات الحية، سواء كانت مرئية، مثل القوارض والحشرات، أو كانت دقيقة، مثل الفطريات والبكتيريا. وهناك أيضًا العوامل البشرية، مثل سوء الاستخدام والحفظ والإهمال، وصولًا إلى السرقة.

أما المواصفات القياسية للمخزن أو مستودع مقتنيات المكتبات ومراكز المعلومات، فأهمها المبنى، بأن يكون مقاومًا للعوامل الطبيعية، كالزلازل والفيضانات والحرائق، وأن تكون جدرانه عازلة للحرارة والرطوبة، وأن يخضع للشروط العلمية والمواصفات الدولية لمباني المكتبات ومراكز المعلومات. وينبغي أن يكون مخزن الوثائق والكتب في أسفل المبنى، لكي لا يتعرض للضوء المباشر، ولا بد من وجود ستائر لحجب أشعة الشمس.

من جهة ثانية، ينبغي تأمين مكيفات الهواء لضبط نسبة الرطوبة ما بين 60%-50% ودرجات الحرارة 20%-16% بشكل دائم، وتوفير معدات الكشف عن الحرائق والتصدي لها، وتزويد جميع النوافذ والفتحات بحاجز مشبك ذي ثقوب صغيرة لمنع دخول الحشرات، ولكن من دون أن يحد من دخول الهواء، وعدم مرور أنابيب المياه أو غيرها في قاعات المكتبة أو قاعات حفظ الأرشيف، وتجنب نشر الأسلاك الكهربائية غير المثبتة،وتنظيف المكان وإزالة الغبار باستخدام مكانس كهربائية.

كل ذلك يظهر أهمية اللجوء إلى مناجم الملح الصخري لتخزين وحفظ السجلات والأرشيفات المهمة، لما تشكّله هذه المناجم من عوامل طبيعية تلائم الظروف المثالية للحفظ التي نصّت عليها الجهات الدولية المتخصصة.

هكذا، بعد اكتشاف الملح واستخراجه لاستخدامه في الطعام منذ القرن الثالث قبل الميلاد، واستغلاله من قبل الفراعنة في حفظ المومياوات المحنّطة، ولاحقًا في صنع نماذج التماثيل، ها نحن نصل إلى الاستفادة من المساحات الفارغة في هذه المناجم

كحافظات طبيعية لعدد هائل من السجلات والقطع الأثرية وغيرها من المقتنيات المهمة.

من هنا، وإذا كنت في المملكة البريطانية، واحتجت إلى مكان للتخزين، فإن هذه المنشأة هي الخيار الأمثل للحفظ، وخصوصًا مع استخراج مليون طن من الملح في كل عام، ما يضمن توسّع المنشأة بشكل طبيعي وبطريقة مستدامة، فلا حدود لما يمكننا تخزينه في هذه المنشأة، لا في وقتنا الحالي، ولا في المستقبل.

4. بوقاعدة، فتيحة. طنيبة، وداد. (2016). معايير حفظ وترميم المخطوطات العربية: دراسة ميدانية بمكتبة د. أحمد عروة بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسطنطينة. جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، علي منجلي، الجزائر.

5. انظر:

Jahangir, Rumeana.(2016, February 17). Inside the UK's largest salt mine. Retrieved from https://cutt.ly/zZpP0C6

6. انظر:

https://cutt.ly/8ZpAaYc

7. انظر:

http://www.deepstore.com/

المراجع:

1. إدوارد أدكوك، ومكتبة قطر الوطنية. (2016). البرنامج الاساسي صيانة مواد المكتبات والمحافظة عليها ومجلس المكتبات ومصادر المعلومات: مبادىء الاتحاد الدولي لجمعيات ومؤسسات المكتبات للعناية بمواد المكتبات والتعامل معها. IFLA، مكتبة قطر الوطنية.

2. المجلس الدولي للأرشيف. (1990). معجم المصطلحات الأرشيفية: إنجليزي، فرنسي، عربي. بيروت: الدار العربية للعلوم.

3. شحاتة، إبراهيم محمد. عبدالله، محمد الغزالي. (1988). إدارة وتنظيم المحفوظات. الرياض: معهد الإدارة العامة.

محمود عواد: أكاديمي لبناني متخصص في مجال المعلومات والمكتبات. محاضر في الجامعة اللبنانية، كلية الإعلام، قسم إدارة المعلومات والمكتبات.

للتواصل عبر الإيميل: mahmoudawwed@gmail.com

S.M.24 (35)

الموافق ١٣٥٠ ١٩٣٢

٥١ ٦ شعبان ٣٢ ديسمبر

حضرة الأكرم الأفخم حميد الشهم الشهم الشيخ محمد بن عيسى آل خليفه المحترم

بعد التحية وخالص الاحترام — نظرًا لذهاب فخامة رئيس الخليج بكره نحو الساعة السابعة وخمس دقائق عربي الى المحرق لزيارة فخامة الشيخ عيسى ارجو من حضرتكم ارسال سيارتكم (البهوك) الى الغرضة في المحرق في ذلك الوقت لفخامة الرئيس اذا ليس يوجد تكليف عليكم بذلك — هذا وتقبلوا فائق الاحترام ودمتم —

عن بوالموز دولة بريطانيا بالبحرين ٠

رسالة لوخ للشيخ حمد بن عيسى للاستعانة بسيارته حتى يتوجه المقيم لزيارة الشيخ عيسى بالمحرق - 1932

وثيقة وحكاية

أول زيارة للمقيم البريطاني في الخليج إلى البحرين بعد اكتشاف النفط 1932م

د. محمد حميد السلمان

يوجد ملف مهم جدًا ضمن ملفات المقيمية البريطانية الشهيرة في الخليج في بوشهر، يحوي 203 صفحات، كان سابقًا يُصنف سريًا، برقم 2/19، مجلد 2، ويحمل عنوان: "Tour-The Hon'ble the Political Resident in the Persian Gulf".

ومن هذا الملف، نستقي وثائق حكاية الزيارة الأولى للمقيم السياسي البريطاني في الخليج في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، العقيد تي. سي. فاول (Colonel T. C. Fowle)، إلى جزر البحرين في كانون الثاني/ديسمبر 1932م. تبرز أهمية وثائق الملف للأسباب الآتية:

- اكتشاف النفط وظهوره في جزر البحرين كأول موقع على الجانب الغربي من الخليج الذي تتحكم بريطانيا في سياسته ومصائره السياسية والاقتصادية. كان ذلك في منطقة جبل الدخان بين العامين 1931-1932، إذ تدفق النفط بغزارة في تشرين الأول/أكتوبر 1932م، بمعدل 9,6 آلاف برميل يوميًا، ثم بدأ التصدير في كانون الأول/ ديسمبر 1932.

- مرض الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين المعزول ضمنيًا من قبل السلطات البريطانية، وتقارير الإنجليز الاستخباراتية عن قرب وفاته، وهو الذي لم يكن على وفاق معهم حينها، وكان يُعارض سياسة بريطانيا الإصلاحية في البحرين منذ وصول الرائد كلايف ديلي(Major- Clive kirk Patrick Daly) إلى سدة المعتمدية في البلاد، ومباشرة الشيخ حمد بن عيسى، ولي العهد، أمور الحكم، إذ تذكر الباحثة مي الخليفة في كتابها "سبزآباد": "على الرغم من تصرفات (ديلي) العنيفة - في البحرين - إلا أن الأسس الأولى للإدارة الحديثة للجمارك والبلدية

وخدمات الشرطة والمحاكم وإنشاء دائرة التسجيل العقاري وضعت جميعها في فترة عمله".

- متابعة تنظيمات المستشار تشارلز بلجريف الذي جاء في نهاية مغادرة ديلي للبحرين في العام 1926 ومدى تأثيرها في البلاد والعباد.
- بروز البحرين خليجيًا كقوة اقتصادية وتنظيمية ومثال حضاري لما أحدثه الإنجليز من إصلاحات على طريقة الديمقراطية البريطانية التي تصلح، من وجهة نظرهم، للمنطقة.

كان المقيم السياسي الإنجليزي في الخليج هو أهم مسؤول بريطاني تختاره حكومة الهند البريطانية الاستعمارية لتنفيذ أجندتها المتنوعة. لذلك، كان يتميز بالكفاءة وحسن الخدمات التي يؤديها للتاج البريطاني، وكان يجب أن يكون من الضباط الإنجليز التابعين للإدارة البريطانية الهندية، مع تفضيل من يُجيد منهم بعض لغات المنطقة، وكذلك من يعمل تحت يده في مناصب وكلاء ثم معتمدين سياسيين في بعض موانئ الخليج المهمة. وعن طريق أمثال هؤلاء الوكلاء تتجمع لدي المقيمية ورئيسها مجموعة ملفات مهمة وسرية عن الخليج وشعوبه وحكامه وظروف كل كيان وأحواله، ليتم استخدامها عند الحاجة.

وقد جاءت زيارة المقيم السياسي البريطاني في الخليج (فاول) أو رئيس الخليج إلى البحرين على متن المركب الشراعي الإنجليزي "Shoreham" الخاصّ بالمقيمية في ميناء "بوشهر"، كما أوضح "التليجرام" الذي وصل إلى الوكالة البريطانية في البحرين بتاريخ 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1932م، وتسلمه المعتمد البريطاني المقدم جوردن لوخ -Loch Gordon، كما جاء أن الزيارة سوف تتم في 5 كانون الأول/ديسمبر 1932م، وتتطلب إعداد استقبال رسمي من الشرطة والحرس لوصول المقيم.

وفي رد المعتمد على تلك الرسالة بتاريخ 30 تشرين الثاني/نوفمبر، رحب بالزيارة الرسمية للمقيم طبعًا، وقدم عرضًا للترحيب أيضًا بزوجته معه في زيارته إلى البحرين، كما أوضح، إذا كانت تستطيع تحمل قذارة السفر ومشقته على متن سفينة البريد الشراعية. وسرعان ما كتب لوخ إلى المستشار بلجريف في اليوم نفسه، يخبره عن الزيارة الرسمية وضرورة الاستعداد لها وترتيب الكلمات التي سوف تُلقى فيها، وأولها كلمة المقيم.

كما تم في هذه الزيارة اللقاء بين إف. هولمز (Frank Holmes) المسؤول عن شركة نفط البحرين المحدودة والمقيم حول شؤون نفط البحرين.

وهناك وثيقة ضمن الملف المذكور تتحدث عن تفاصيل أيام الزيارة ومنهجها، كما أُطلق عليه، بالساعة والدقيقة باللغتين العربية والإنجليزية. وأهم ما فيها، من دون موائد الغداء والعشاء، كعادة الخليجيين عند زيارة كبار المسؤولين الإنجليز لهم في بلادهم، هو زيارة آبار النفط في جبل الدخان وعوالي في اليوم الثالث، بتاريخ 7 كانون الأول/ديسمبر، وكذلك القاعدة الجوية للطيران الإنجليزي في المحرق وموقع المطار القديم في المنامة.

وكما هي عنجهية هؤلاء المقيمين السياسيين، وهو يعلم بمرض الحاكم وكِبر سنه، وضع بندًا في البرنامج بأن يأتي الشيخ عيسى بن علي لزيارة المقيم في "بيت الدولة" بالمنامة إذا كانت صحته تساعده على ذلك. ولكن بما أن صحة الشيخ لم تكن ملائمة، قام المقيم بتلك الزيارة له في بيته في المحرق، مستقلًا سيارة الشيخ حمد بن عيسى (البيوك)، كما طلبها في رسالة للمعتمد البريطاني في البحرين.

ألقى المقيم كلمة في حفل استقباله تألفت من 4 صفحات الصفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة القديمة، استعرض فيها بعض المعلومات القديمة عن هُرمز والخليج وميناء بندر عباس. كما أظهر فيها أهمية

الخليج لبريطانيا، مع التركيز على جزر البحرين وكيف أصبحت مشجعة للمصالح البريطانية الاقتصادية في الخليج.

وفي اليوم الثاني من الزيارة، كان بعض التجار والوجهاء ينتظرون اللقاء الموعود مع المقيم، والمحدد سلفًا بالأسماء المختارة بشكل مسبق بين المعتمد لوخ والمستشار بلجريف. والملاحظة المهمة هنا أن قائمة المدعوين كانت تضم أسماء كل الطوائف في البحرين (26 من العرب، 16 من العجم). وقد ورد فيها اسم واحد لم يوقع بيده على حضوره للاجتماع بالمقيم خلال زيارته، وهو الرجل الوطني وكبير تجار اللؤلؤ أحمد بن خميس.

وتم إعداد قائمة أخرى باللغة الإنجليزية للمقيم، ليتعرف من خلالها إلى زعماء وبعض ألقاب الطوائف في البحرين. كما أن طريقة ترتيب جلوس مستقبلي المقيم وأهميتهم بحسب "البروتكولات" الرسمية في هذه المناسبات، وضعها بلجريف مع لوخ، وليس غيرهما.

والغريب في هذه الزيارة التي اعتبرها البعض شؤمًا على البحرين أن الحاكم الشيخ عيسى بن علي توفي خلالها يوم الجمعة 9 كانون الأول/ديسمبر مساء في مدينة المحرق، عن عمر ناهز 86 عامًا، حكم منها البلاد بشكل فعلي 55 سنة تقريبًا.

كما يُلاحظ أن كلمات الترحيب من جميع الطوائف بمن يُمثل رأس السلطة الاستعمارية البريطانية في الخليج، في ظل الأزمة المالية التي كانت تعيشها البلاد وهي تنتقل بين زمن الاعتماد على دخل الغوص والبدء باستخراج النفط في تلك السنة، وصفته بالصديق الحميم، فضلًا عن كلمات

كلمات الترحيب بمن يُمثل رأس السلطة الاستعمارية البريطانية في الخليج وصفته بالصديق الحميم، وتناست أنه مجرد مستعمر يبحث عن مصالحه في المنطقة بعد أن سيطر عليها عنوةً.

المعتمد السياسي البريطاني الكولونيل جي لوخ

الألفة والمحبة والتفخيم وتطبيق للعدالة على المناطق التي تتبعه خليجيًا، وتناست أنه مجرد مستعمر يبحث عن مصالحه في المنطقة بعد أن سيطر عليها عنوةً.

ولم تخلُ بعض تلك الكلمات من المبالغات بذكر وجود "معاهد علمية" منتشرة في المنامة والمحرق وضواحيها بفضل عمل المستشار بلجريف! ومن شكر وتقدير كبير للمستشار في خطاب البلدية مثلًا، وشكر مغلف ببعض التزلف لعودة المعتمد لوخ إلى البحرين بعد 15 سنة من غيابه الإداري عنها، وتشبيه انتظار أصحاب الكلمات له كانتظار الأرض غيثًا من السماء! ولربما قائل إن هذه كانت صفة اللقاءات الرسمية والدبلوماسية في تلك الحقبة أو لكل زمان، وهذا وصف بسيط مختصر لتلك الزيارة.

د. محمّد السّلمان: باحث بحريني متخصّص في التاريخ، أعدّ أطروحة دكتوراه في جامعة «هال» البريطانية حول المظاهر السياسية والاقتصادية للحكم البرتغالي في الخليج. صدرت له مجموعة من الكتب التاريخية والترجمات.

للتواصل عبر الإيميل: adoommoon@gmail.com

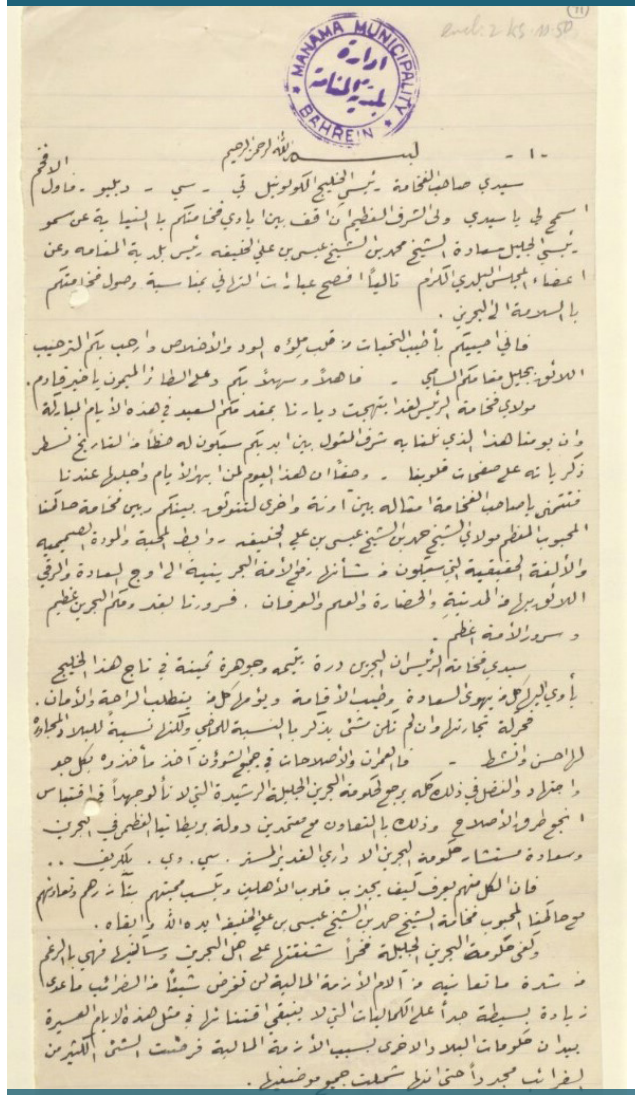

الورقة اللأولى من كلمة بلدية المنامة
في حفل استقبال فاول- 1932م

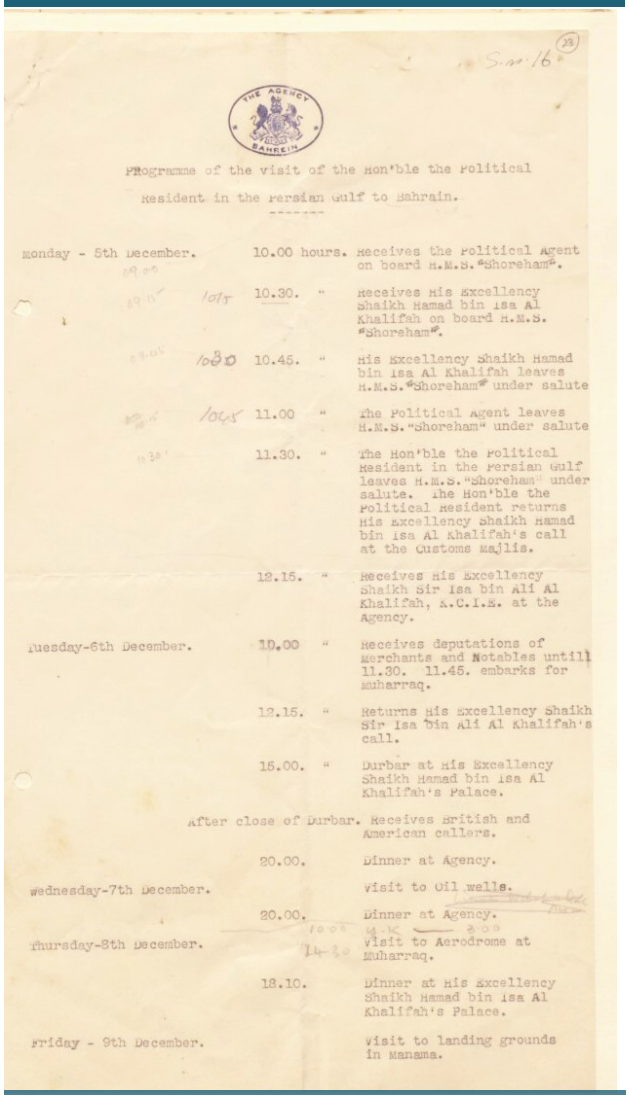

Programme of the visit of the Hon'ble the Political Resident in the Persian Gulf to Bahrain.

Monday - 5th December.	10.00 hours.	Receives the Political Agent on board H.M.S. "Shoreham".
	10.30. "	Receives His Excellency Shaikh Hamad bin Isa Al Khalifah on board H.M.S. "Shoreham".
	10.45. "	His Excellency Shaikh Hamad bin Isa Al Khalifah leaves H.M.S. "Shoreham" under salute
	11.00 "	The Political Agent leaves H.M.S. "Shoreham" under salute
	11.30. "	The Hon'ble the Political Resident in the Persian Gulf leaves H.M.S. "Shoreham" under salute. The Hon'ble the Political Resident returns His Excellency Shaikh Hamad bin Isa Al Khalifah's call at the Customs Majlis.
	12.15. "	Receives His Excellency Shaikh Sir Isa bin Ali Al Khalifah, K.C.I.E. at the Agency.
Tuesday-6th December.	10.00 "	Receives deputations of Merchants and Notables untill 11.30. 11.45. embarks for Muharraq.
	12.15. "	Returns His Excellency Shaikh Sir Isa bin Ali Al Khalifah's call.
	15.00. "	Durbar at His Excellency Shaikh Hamad bin Isa Al Khalifah's Palace.
	After close of Durbar.	Receives British and American callers.
	20.00.	Dinner at Agency.
Wednesday-7th December.		visit to Oil wells.
	20.00.	Dinner at Agency.
Thursday-8th December.		visit to Aerodrome at Muharraq.
	18.10.	Dinner at His Excellency Shaikh Hamad bin Isa Al Khalifah's Palace.
Friday - 9th December.		visit to landing grounds in Manama.

جدول فعاليات الزيارة الى البحرين
في 5 ديسمبر 1932م

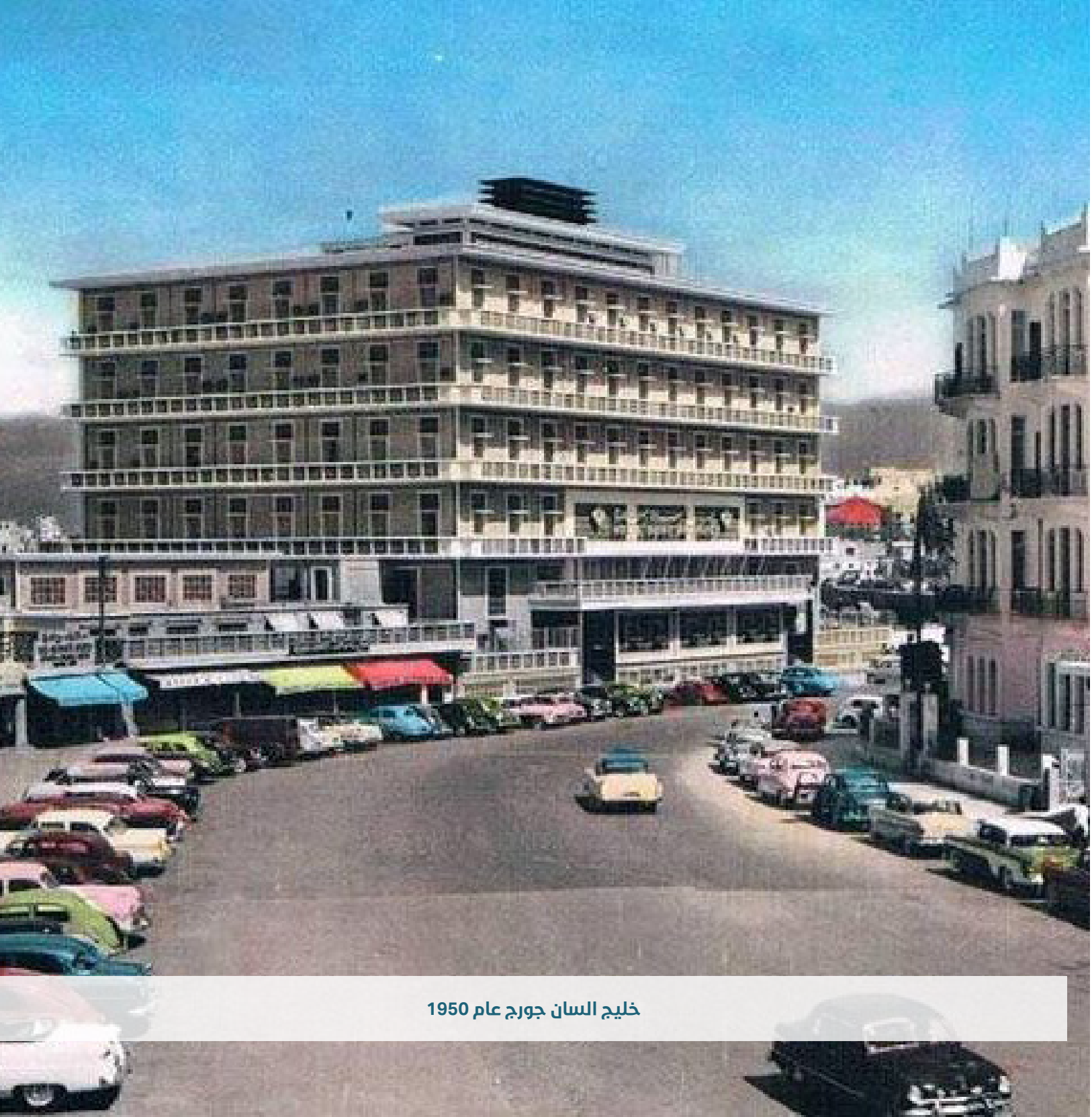

خليج السان جورج عام 1950

ذاكرة الصورة

السِحر القديم ما يزال بيننا
عنَ بيروت القديمة أحدثكم

تغريد الزناتي

شغلت بيروت القديمة عقول العرب بعماراتها التي تأثرت بالروح الأوروبية، وبالأشكال الهندسية الفريدة من نوعها، وبالمباني التي لم تكن مألوفة في زمانها. من العشرينيات حتى السبعينيات، عرفت بيروت تطورًا عمرانيًا هائلًا، فسنوات الستينيات كانت العصر الذهبي للعاصمة، إذ كانت تجمع كل ما يمكن البحث عنه في المدن المعاصرة، من أسلوب النقل، إلى الزيادة في نسبة السيارات، إلى التشجير المدروس، إلى المسارح والسينما، إلى المباني "الشاهقة".

في ما يلي أربعة من أهم المباني التي ميّزت بيروت عمرانيًا، والتي أفقدتها الحرب الأهلية اللبنانية بريقها، وهي حتى اليوم مندثرة تحت غبار الرصاص والقذائف. لم تخضع للترميم، ولم يُعَد إحياؤها، ولكن كل ما كان ذهبًا يبقى ذهبًا. هذه المباني ما زالت تملك من الكاريزما ما يشدّك للتمعّن في تفاصيلها وهيبتها، ولو كانت رمادية فقط لا غير. إنه السحر القديم.

فندق الهوليداي إن (Holiday in)

عند أطراف منطقة الحمرا في بيروت ووسط المدينة، تتمركز منطقة القنطاري التي تستقبلك بمبنى باطوني رمادي مهجور، نُقشت فوق جدرانه فجوات من رصاص الحرب الأهلية اللبنانية بشكل ملحوظ.

لم يعلم أحد ممن عايش السنوات التي سبقت الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990) أن فندق "الهوليداي إن" الذي اعتاد استقبال مشاهير العالم العربي والشخصيات الفائقة الأهمية ستحوله الحرب الطويلة إلى ظلال سوداء بعد عامين فقط من افتتاحه.

ماضي الفندق أشبه برسم قوس قزح. اعتاد مخرجو العالم العربي اتخاذه موقعًا لتصوير الأفلام التي تجاوزت 15 فيلمًا،

لما يمثّله من شكل هندسي راقٍ، ولكونه مطلًا على البحر من جهة، ولا تعوقه أي عمارات من مختلف الجهات من جهة أخرى، في حقبة قلّت فيها عمارات كهذه.

زار الفندق نجوم كثر، منهم داليدا وأم كلثوم وفريد الأطرش. وقد تألف من 27 طبقة، ثلاثة منها تحت الأرض، ومطعم في الطبقة الأخيرة يسمح لك بأن تحلّق فوق المدينة. هذه الطبقات كانت سبّاقة إلى اتخاذ الشكل العمراني الذي كانت عليه حينها (بداية السبعينيات).

عصفت رياح الحرب الأهلية بـ"الهولياداي إن" من كل ناحية وصوب، وشكّل الفندق بعلوه الشاهق هدفًا للمسلحين والقناصين للكشف عن المنطقة والسيطرة على التحركات فيها. استولى عليه المسلحون، وعاثوا به سرقة وخرابًا، فتم نهب كل الموجودات من أثاث ومفروشات وبنى أساسية وأبواب وخشب وتجهيزات، كمن ينزع الروح عن الجسد.

شكّل موقع الفندق أهمية استراتيجية حقيقية، فكان فاصلًا بين بيروت الشرقية وبيروت الغربية، بالتالي شكّل المبنى "خط دفاع" (كما يقال باللغة العسكرية) للمسلحين الذين يدافعون عن بيروت الشرقية.

في روايته "طيور الهولياداي إن"، استخدم الكاتب ربيع جابر هذا العنوان لما يرمز إليه الفندق كفاصل بين بيروت الشرقية التي هُجر إليها مسيحيو بيروت، وبيروت الغربية التي هاجر إليها مسلمو بيروت. من هنا وضوح الرمزية التي اكتسبها الفندق بموقعه كفاصل بين منطقتين.

فشل مُلّاك الفندق بالتوصل إلى صيغة تؤمن استثماره أو ترميمه. وفي العام 2014، دارت أحاديث عن نيتهم بيع الفندق الذي كان يساوي مئات الملايين من الدولارات. لم يتخذ القرار بشأن مصيره حتى اليوم، إذ يبقى بجسده الفارغ والمثقوب مُطلًا على الواجهة البحرية لبيروت، مُحملًا بعبء الحرب الأهلية، وما زال صدى الرصاص يملأ فراغه.

برج المر

بقي برج المر (1970) عند مدخل وسط العاصمة المبنى الأطول في بيروت حتى تأسس مبنى "سما بيروت" في منطقة السوديكو (2014).

كان الهدف من تأسيس برج المر أن يكون مقصدًا تجاريًا، فتألف من 27 طابقًا فوق الأرض، و7 طوابق تحت الأرض، وضمّ 210 نوافذ، لكن المستقبل حمل ما لم يكن بالحسبان، فقبل الانتهاء من أعمال البناء، نشبت الحرب الأهلية، فتحولت الطبقات العليا إلى مركز للقناصين. أما الطبقات السبع تحت الأرض، فقد تحولت إلى سجون للمعتقلين.

وكما حال "الهولياداي إن"، كان لبرج المر موقع جغرافي ممتاز استراتيجي فاصل بين "البيروتتين" الشرقية والغربية، وكان علوّه كاشفًا للشوارع البيروتية، فشكّل قلعة حصينة وورقة رابحة للجهة التي تستولي عليه. وهنا، كانت الجهات عديدة.

بعدما عايش خمسة عشر عامًا من الحرب، بقي البرج على حاله. لم تستكمل الأعمال فيه، ولم يعرف الافتتاح، ولم يخضع لأية تحسينات، باستثناء تلوين الشبابيك في شباط/فبراير 2018، ولكن الألوان بتنوعها لم تستطع إزالة ندبات الحرب والقذائف.

مبنى سينما سيتي (Cinema city)

هو مبنى بيضاوي الشكل في قلب العاصمة بيروت، يُعرف أيضًا باسم "الدوم" و"البيضة"، وهو شكل هندسي غريب من نوعه، ولا يزال حتى اليوم شكلًا مميزًا ولافتًا للنظر. استطاع أن يكون سينما (سينما كابيتول) عرضت أكثر من خمسين فيلمًا، ومركزًا تجاريًا رائجًا، لكونه أول مركز في بيروت يضم سلالم وأبوابًا كهربائية، ويعتبر أول "مول" في الشرق الأوسط.

ضم المركز محل "معتوق" لصناعة شرائح البطاطا (الشيبس)، ومحلًا لبيع الحيوانات "بيت شوب"، ومحل "حلويات الصمدي" الذي يفتح باب محله إلكترونيًا، ومحلات تجارية وغذائية أخرى.

تم تأسيس المبنى في العام 1965 على يد المعماري جوزف كرم. وكان من المتوقع اعتباره مركز العاصمة. هذا الهدف لم يتحقق بسبب اندلاع الحرب الأهلية.

يبقى المبنى مهجورًا بشكله الفريد في وسط بيروت، ومن حوله مبانٍ أُزيلت، وأخرى استقرت بشكلها المعاصر، ليبقى شبه وحيد في تجسيده ذاكرة الحرب اللبنانية.

فندق السان جورج (Saint George)

تعود بداية تأسيس فندق "السان جورج" عند أول منطقة عين المريسة إلى العام 1929، على يد المهندس الباريسي أوغوست بيريه، الذي زار لبنان لتصميم المبنى مع المهندس الراحل أنطوان تابت. يتألف الفندق من خمس طبقات و101 غرفة، وتم إنجازه في العام 1942.

طالت يد الحرب الأهلية الفندق، فأغلق أبوابه إلى حين انتهاء الحرب الأهلية في العام 1990. بعدها، تولت شركة "سوليدير" إعمار وسط بيروت، لكن مالكي الفندق رفضوا تسليمه لهذه الجهة التي عُرفت بأسلوبها التجاري المادي البحت في إعادة إحياء المباني التي تضررت بفعل الحرب اللبنانية وترميمها. لا يزال مالكو الفندق على صراع مع "سوليدير" ليحافظ "السان جورج" على بريقه الخالص في التصميم وفي زخرفات شرفاته. واليوم، يمكنك، إن تمعّنت بالنظر، رؤية الستائر في داخله.

من العشرينيات حتى السبعينيات، عرفت بيروت تطورًا عمرانيًا هائلًا، وكانت سنوات الستينيات العصر الذهبي للعاصمة.

سينما سيتي

ساحة البرج (ساحة الشهداء)

شكّل فندق "السان جورج" ملتقى لرجال السياسة والثقافة. زاره العديد من أهم الشخصيات العالمية، منهم نجمة هوليوود إليزابيث تايلور والمطربة أم كلثوم وشارل أزنافور وملك الأردن حسين. إن الأجواء الهادئة والمريحة التي أمّنها الفندق لنزلائه والأسلوب الخدماتي في الضيافة والنظافة والموقع الجغرافي، جعلت بار الفندق واحدًا من أهم سبعة بارات في العالم، وكان المقهى وجهة الصحافيين للقاءاتهم السياسية والأمنية. أما مسبح الفندق "بلاج السان جورج"، فكان مقصد الطبقة البرجوازية اللبنانية وعنوانًا صيفيًا مثاليًا لأرقى شخصيات المجتمع.

حكايات هذه المباني لم تكتمل، والهدف من تأسيسها لم يتحقق. كان للقدر قصة أُخرى. وكما كانت هناك مفاجآت غيّرت مجرى القصة الأولى، فمن يعلم! ربما تكون هناك مفاجآت أخرى تفتح فصلًا جديدًا في حكاية كل منها.

تغريد الزناتي: حائزة على ماجستير في الإدارة والمعلومات، وتعمل في قسم أرشيف جريدة الأخبار اللبنانية منذ العام 2013.
للتواصل عبر الإيميل: taghridzinaty@hotmail.com

برج المر

برج المر من زاوية أخرى

فندق هوليداي إن

الكورنيش البحري

الممارسات الأرشيفية والتاريخ الكامن

أثير السادة

الوثائق بالنسبة إلى الباحثة ~~الإسرائيلية~~ أريليا أزولي (Ariella Azoulay) ليست مجرد سجلات للتدوين وتسجيل الأحداث، إنما هي أداة تشتغل من خلالها الإمبريالية وتمارس الهيمنة، على طريقة بناء الحقائق التاريخية وترتيبها بمثل ما تمارس التقييد في حرية الوصول إليها والاشتغال على تأويلها وتفسيرها.

والأرشيف بما هو بنية خطابية، كما يصف ميشال فوكو، فإنه يمثل "مجموعة آليات خطابية" تمتلك القدرة على الحجب والمنع، كما تمتلك القدرة على الإقصاء والتهميش. لذلك، تدافع أريليا عن حق صناعة الأرشيف وحرية الوصول إليه والاستفادة منه، وتدعو إلى أرشيف مدني في مقابل أرشيف المؤسسات المرتبطة بالخطاب المهيمن وما تعده امتدادًا للخطاب الاستعماري والإمبريالي.

انشغلت هذه الباحثة في دراساتها الأكاديمية وأبحاثها ومعارضها وأفلامها بأحوال الصورة الفوتوغرافية من جهة، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي من جهة ثانية، وكان الأرشيف الخاص بهذا الصراع محطتها الأثيرة لمراجعة الممارسات الأرشيفية التي تسمها بالعنف تجاه الآخر، إذ جرى تزوير الوثائق والحقائق، ونتج منها طابور من الباحثين والمؤرخين الذين صاروا يتعاطون معها من دون مساءلتها.

أصدرت أزولي كتابها الأول بعنوان "Civil contract of photography". وفيه دشنت الطريق لرؤيتها النقدية لأخلاقيات الصورة الفوتوغرافية وعلاقتها بالسلطة، ودفعت الصورة إلى حقل النظرية السياسية ضمن مراجعات للوجه الحقوقي للفلسطينيين في "إسرائيل" والمرأة في المجتمعات الغربية، لتتوسع بعدها في تنظيرها للصورة عبر كتاب "Civil imagination : A political ontology of photography"، منطلقة من حكاية عائشة كرد ونضالها، إذ عاشت عذابات السجن والتشريد مرات عدة، وشهدت استشهاد زوجها وابنها الذي كان قدره أن يولد داخل السجن.

تعاقبت الإصدارات بعدها مركزة على انشغالها العميق بالبعد السياسي للصورة، ليكون ختامها كتاب "Potential History – Unlearning Imperialism"، وهو خلاصة موقفها الأكاديمي والسياسي من الصراعات التاريخية التي تحدث على الأرض وفي الأرشيف وبالاتكاء على الصورة.

في دراساتها، تستعيد أفعال السلطة في الصورة، وتذكرنا بأرشيف الذاكرة الفلسطينية وعملية المحو التي تمارسها السلطة الإسرائيلية تجاه صور ما قبل التقسيم... تذهب إليه بدافع الفضول، لتكتشف ما تسميه الاتفاقيات المدنية بين الفلسطينيين واليهود ما قبل التقسيم ولحظات التعايش والاتفاق على تسوية الخصومات، الأمر الذي يخالف الصورة التي ترسمها الصهيونية عن "خطر هؤلاء الفلسطينيين وضرورة قتلهم قبل أن يقتلونا".

نشاهدها تمسك صورة تظاهرة فلسطينية في فلسطين الـ48 ضد عملية التقسيم. تذكرنا بأنها لحظة فاصلة. هنا لا وجود لكيانين، ولا مواجهة بين طرفين، بل رفض لتدخل الأمم المتحدة. هي لحظة استثنائية، لأنها تعيد توصيف هوية الفلسطيني كمواطن، قبل أن تتحول صورته بعد التقسيم إلى مشبوه أو إرهابي أو لاجئ، على حد وصفها.

هنا تسأل: هل يمكننا عبر الصورة أن نعاود اكتشاف احتمالات التاريخ المحذوفة، وأن نغير من لغتنا في توصيف الصراع؟ كيف لنا أن نعيد سرد التاريخ بعيدًا عن الصور والحقائق التي فرضتها السلطة؟

لقطة أخرى تستعرضها للاجئين فلسطينيين في قبال جنود إسرائيليين، وتقول إن الصورة تحكي بالنسبة إليها عن سيرة ممتدة، فبقاء اللاجئين كلاجئين يعني أنها كإسرائيلية

الوثائق بالنسبة إلى الباحثة أريليا أزولي ليست مجرد سجلات للتدوين وتسجيل الأحداث، إنما هي أداة تشتغل من خلالها الإمبريالية وتمارس الهيمنة.

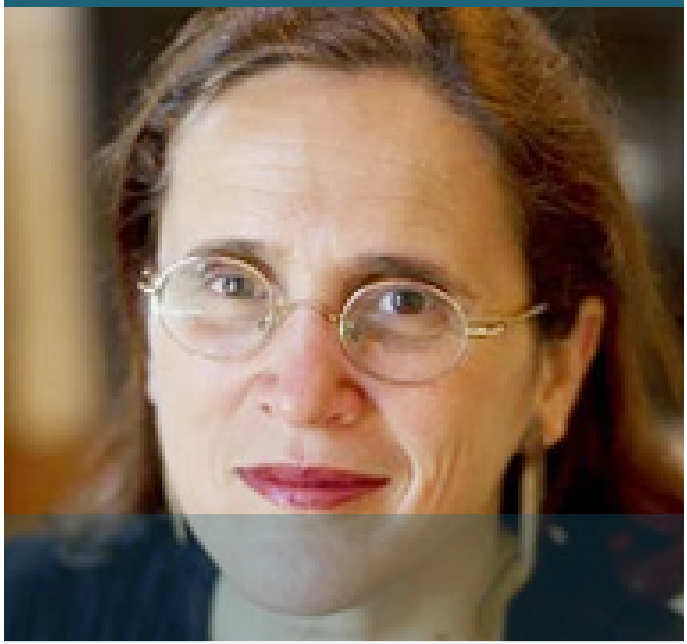

الباحثة أريليا أزولي

امتداد لمرتكبي هذه الجريمة التي جعلتنا نتعود الحديث عن الفلسطينيين كلاجئين، وكأنهم خلقوا كذلك، لكنها تفضل في المقابل مقاربة الحدث ضمن مفهوم التاريخ الكامن "Potential History"؛ أن ننظر إلى الصورة كحدث فعلي يجري الآن في لحظة المشاهدة. هي لحظة ثانية في قبال اللحظة التي جرت فيها الصورة. وعليه، يلزم النظر إلى الصورة كلحظة كارثية، ليست للفلسطينيين، وإنما لليهود أيضًا، فإذا ما شئنا أن نخلق حالة من الصفح والعفو، فعلينا أن ننشئ مجتمعًا ينظر إلى مسألة طرد الآلاف من منازلهم كمسألة كارثية.

وفي مجادلتها للممارسات الأرشيفية، تتوقف عند صورة لأحد الفلسطينيين من العام 1948. وقد جرى وصفه فيها بأنه "أسير حرب" ضمن واحدة من حملات التهجير. لم تجد في الصورة ما يشبه الوصف، فضلًا عن مساجلتها فكرة الحرب أصلًا. وحين طلبت استخدامها ضمن مجموعة أخرى من الصور لإقامة معرض، اشترط عليها استخدام الوصف الأصلي المصاحب للصورة، أي الإحالة إلى فكرة الحرب، وليس التهجير، ما حال دون تسليمها الصورة بعد الرفض، واختيارها فكرة رسم الصورة وتقديمها ضمن المعرض، كدليل آخر على عنف الأرشيف من جهة، وتأكيدًا على فكرة استعرضتها لاحقًا ضمن مقالة نشرت قبل عام بعنوان "Errata in retro-prospect" بعد إبدال وصف الصورة، ليكون "فلسطيني يرفض التهجير"، وليس أسير حرب ولا لاجئًا.

في هذه المقالة، تقترح أزولي تصويب الذاكرة بأثر رجعي، تصويبًا على شاكلة التصويبات المطبعية التي تصاحب الكتب قديمًا، تتمثل بصورة رفض وإعراض عن قبول هذه الممارسات الأرشيفية واستعادة الأفق المسروق من حياة الآخرين؛ تصويبات تخرجنا من تضليلات وثيقة إعلان قيام "دولة إسرائيل"، وتعيدنا إلى صور التهجير والطرد للفلسطينيين، بعد أن أصبح الإعلان نفسه نفيًا لوجود فلسطين. تصويبات تذكرنا بأن مسيرة العودة التي توثقها الصورة في كل عام ليست سوى مسيرة مستمرة من دون انتهاء منذ العام 1948.

تكررت هذه الفكرة مجددًا في حوار خلال الأحداث الأخيرة لمجلة إيطالية بعنوان "ما الذي يحدث في فلسطين؟"، حين تعلق أزولي قائلة إنها ثورة ضد آليات القمع الاستعمارية التي تحكم قبضتها عليهم منذ عقود. وما اختلف اليوم هو الدعم الدولي الذي تلقاه هذه الانتفاضة، في الوقت الذي تتمزق آلة الدعاية ~~الإسرائيلية~~، وهي التي راهنت طيلة عقود على موت كبار السن ونسيان الشباب لقضيتهم، وهو ما لم يحدث، في رأي أزولي، فالنضال لم يبدأ في العام 1987، كما سعى المخيال الاستعماري لمحاصرته وتقديمه، بل من العام 1948 في حراك الفلسطينيين من أجل العودة إلى ديارهم.

وبكثير من الوضوح، تصرح في هذه المقابلة بعدم وجود دولتين في هذا الصراع، بل بوجود مستعمِرين في مواجهة مستعمَرين، وبأن حمل صفة إسرائيلي هو في حد ذاته إنكار لحق الفلسطيني في العودة. لذلك، قررت التخلي عن هويتها ~~الإسرائيلية~~ واستعادة هوية أجدادها كواحدة من يهود فلسطين.

حل الدولتين، في رأي أزولي، ليس إلا دعوة لسرقة المزيد من الوقت والأرواح والأراضي والآمال الفلسطينية، ومحاولة للحفاظ على الرؤية الإمبريالية التي جاهدت من أجل التقسيم وحصار حرية الفلسطينيين في واحدة من أشكال العنف التي لم تتوقف.

أثير السّادة: كاتب مهتمّ بقضايا الصّورة ويمارس التصوير والكتابة في هذا المجال. صدر له كتاب بعنوان "تحولات الصورة"، وألبوم فوتوغرافي يحمل اسم "تيارم"، يوثق يوميات البيئة الزراعية في القطيف.
للتواصل عبر الإيميل: atheer93@gmail.com

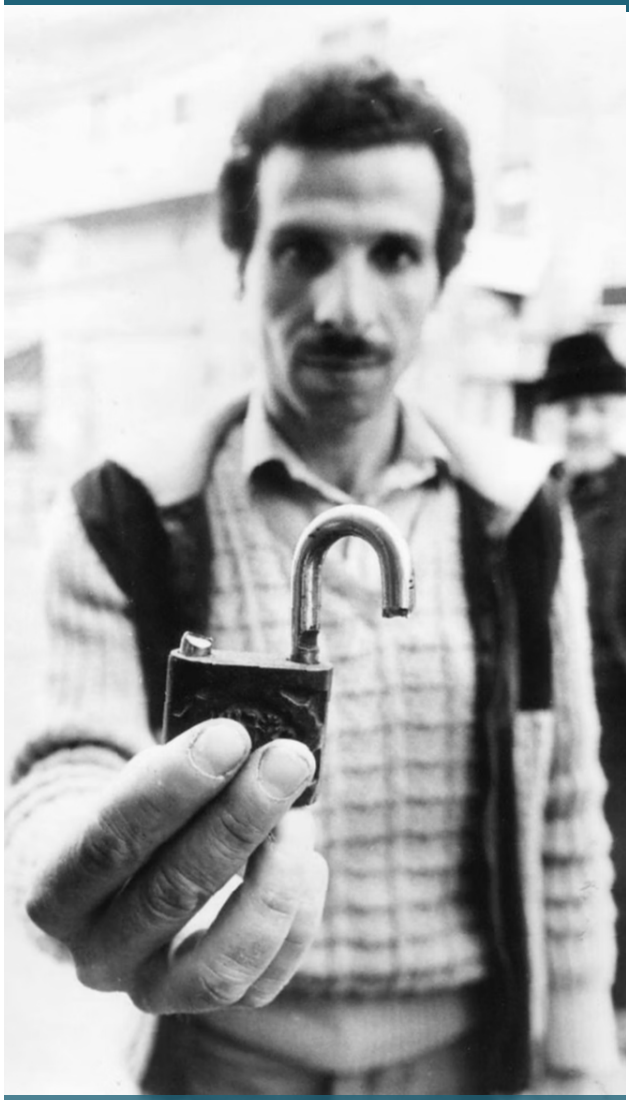

عنات سراغستي، الخليل، 1982

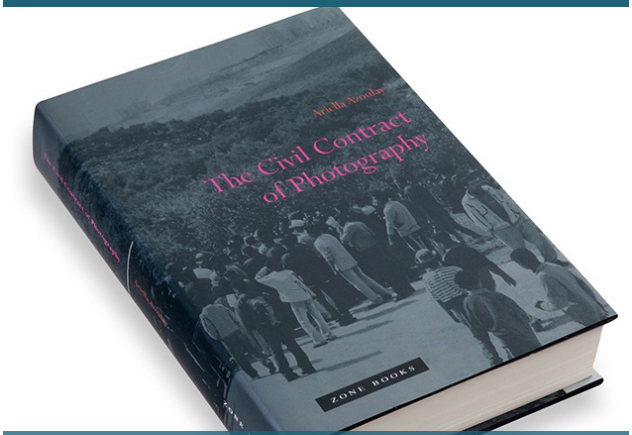

كتاب «Civil contract of photograph»

يد الكابتن جوناثان ووكر وعليها علامة 5.5 اختصاراً لكلمتي سارق العبيد

جزيرة سترة

كشكول

ذكريـــات حوش الحاجـة بلالـــة

نبيل علي عاشور

هي الحاجة خديجة بلال عبد الله علي. ولدت في سترة، وتحديداً في قرية (القرية) في العام 1940، وهي واحدة من قرى الجزيرة السبع: واديان والخارجية ومركوبان والمهزة والقرية وسفالة وأبو العيش. والدها الحاج بلال عبد الله علي، ووالدتها الحاجة مريم حسن طرفي. سميت باسم أبيها، فكانت تكنى بالحاجة بلالة، بدلاً من اسمها الحقيقي (خديجة). تزوجت في بداية حياتها رجلاً من بلدة النويدرات، لكنها كانت زيجة قصيرة، ثم تزوجت أحد أبناء قريتها، وهو الحاج جاسم علي سلمان الشملول، وكانت زوجته الثالثة، وأنجبت منه 3 أبناء، هم جمعة ومنصور وإبراهيم، و5 بنات، هن مريم وحليمة ومدينة وزهرة وبلقيس.

كان زوجها جاسم مهدي الشملول يعمل في شركة النفط "بابكو" (Babco)، وكان بحاراً في آن، مثل أغلب سكان سترة الذين كانوا يجمعون مهنة الصيد إلى جانب المهن الحديثة. سافرت للحج والعمرة، وإلى العراق وإيران وسوريا، وعاشت في القرية (مسقط رأسها) حتى وافتها المنية في يوم الخميس الموافق لتاريخ 2009/6/18. سُجلت في البطاقة السكانية أنها من مواليد العام 1940، لكنه تاريخ غير صحيح، فهي من مواليد العشرينيات أو الثلاثينيات على أقل تقدير. لذا، لا يمكننا الجزم بتاريخ ميلادها إطلاقاً. ما سلف يمثل مختصراً لمعلومات تقريرية عن حياة المرحومة، ولا يمثل طبعاً سيرتها التي سيأتي ذكرها في هذا المقال.

إذاً، من هي الحاجة بلالة التي أريد أن أكتب عنها، والتي كانت قطب الرحى في قريتنا، لما يربو على 4 عقود؟

ولدت بلالة في قرية يمكن وصفها بالهامشية والفقيرة والبسيطة إلى أبعد حدود، شأنها شأن العديد من القرى

البحرينية في تلك المرحلة، في منتصف القرن العشرين، فالخدمات كانت شحيحة من حيث التعليم والطبابة، فضلاً عن عدم توفر المساكن اللائقة وما يحتاجه ساكنوها من غذاء وملبس ومستلزمات.

كان هؤلاء الناس القرويون يعيشون حياتهم باكتفاء ذاتي، لكن التغيرات التي حدثت في محيط حياتهم جعلتهم يحتاجون إلى نوع من التنظيم التعاوني الذي يمكّنهم من مسايرة متطلبات العصر الحديث الذي يعيشون تغيراته المتعاقبة والمتسارعة، فكان حوش الحاجة بلالة، وكانت شخصيتها.

كيف تفاعل حوش الحاجة بلالة مع كل هذه المتغيرات وأصبح قطب الرحى في قريتنا الوادعة ومحور الأنشطة ومحركها الأهم؟! هذا بالتأكيد ما يحيلنا على صفاتها الشخصية التي خلقت منها قائدة شعبية بالفطرة والممارسة الحية اليومية، فصفاتها الشخصية التي أهّلتها لموقع الصدارة في مجتمعها هي موضوع يجب الاهتمام به، ومن ثم تبيان أثره في البيئة التي عاشت فيها.

عطاء لامحدود

من ملاحظاتي الشخصية للحاجة بلالة، استوقفني العديد من الصفات، أولها صفة العطاء اللامحدود. كان لديها هذا الاستعداد لأن تجود بكلها للآخر، بمعنى أنها تصغي إليه بكل حواسها، وبعدها تقرر كيف يمكنها مساعدته. جعلت هذه الصفة بيتها عامراً بالناس من كل حدبٍ وصوب، وطبعت شخصيتها ومنزلها، فباب منزلها لم يعرف القفل في نهاراته ومساءاته أبداً.

كان لبيت الحاجة بلالة حوش طويل جدًا مفتوح يشبه إلى حد كبير سيبان العيون (مجاري) المنتشرة في البحرين، إذ كانت تحيطه الغرف من كل جانب على هيئة حرف U إنجليزي طويل. كان هذا الحوش يبدأ بالجدات، وعلى رأسهن الحاجة بلالة. بعدها تبدأ حلقة الأمهات، وبعدها حلقة البنات، فالفتيات والطفلات والأطفال، وقد كنتُ بينهم. ما زلت أذكر قنطرتها المميزة، حيث كانت تجلس وتضع يديها على رأسها بشكل معكوس، وتوجه الحديث بصوتها القوي في هذا الحوش المفتوح الضاج بالأصوات والتفاعلات.

الضِيافة... الضِيافة

كانت تصر على أن يتوفر في مجلسها كل لوازم الضِيافة، من شاي وقهوة وتمر وتتن. وعندما اضطرت إلى التوقف عن شرب التتن، ظلت تذهب إلى سوق المنامة بسيارة "البيك آب"، لتحضر كل تلك الأمور معها حالما تستدعي الحاجة ذلك.

وقد أخبرتني أختي عن موقف حدث معها عندما زارتها مجموعة كبيرة من صاحباتها في العمل على حين غَرة في أحد المساءات، ولم يكن لديها ضيافة، فتفاجأت بعشاء فاخر أحضرته بلالة عن طريق ابنتها، بعد أن عرفت بقدوم الضيوف إلى المنزل. وهكذا حلت المشكلة بكل سهولة، ومن دون كلام أو انتظار مقابل.

حنان لا ينضب

كان عطاؤها يبدأ أساساً من أسرتها، فقد كانت تعامل أبناء ضرتيها مثلما تعامل أبناءها. كان لدى زوجها 3 أولاد، هم معتوق من زوجته الأولى، وسلمان وعلي من زوجته الثانية. وقد توفى الله زوجاته وهن صغيرات. قامت بلالة بالاعتناء بهم بمثل ما اعتنت بأبنائها الذين أنجبتهم، فأصبحوا يتعاملون معها كما يتعامل الأبناء مع أمهم.

أما أحفادها، فكانوا أكثر تعلقاً بها من أمهاتهم، وأذكر كيف وجد أولاد ابنها جمعة فيها الحضن الآمن بعد وفاة والدتهم في حادث سير شهير أودى بخمسة أفراد من عائلتها (ابنتها وزوجها وزوجة ابنها وابنتها الحفيدة)، فكانت الشجرة الوارفة التي تظلل أولادها وأبناء ضرتيها وأولاد أولادها لتشمل الجميع، حتى نحن الذين نعد أقارب، ولسنا أحفاداً، رغم أننا كنا نسميها "جدتي بلالة"، وغيري كثيرون من الأهل ممن يطلقون عليها لقب الجدة، لأسباب تتعلق بصفاتها

الشخصية لا الرسمية، وهذا كله بسبب نمط الاحتواء والحنان الذي تغمر به الجميع.

عندما جلست مع ابنتها الصغرى بلقيس (أم عبد الله)، روت لي العديد من الحكايات التي تخص علاقتها بها، وأرى أنها يمكن أن تعد نموذجاً لعلاقاتها، فبلقيس الوحيدة بين أخواتها التي أتمت دراستها، ويرجع كل الفضل في ذلك إلى أمها.

حكت لي أن والدتها بلالة كانت توصلها إلى حافلة المدرسة بشكل يومي، وأنها حين انقطعت عن المدرسة فترة، وأحست بالوحدة بحكم ارتباط كل صديقاتها بالمدرسة صباحاً، ذهبت والدتها إلى المدرسة، وأعادت قيدها لتتمكن بعدها من إكمال دراستها.

وتكلمت بلقيس أيضاً عن فنون الرعاية والاهتمام التي كانت تحيطها بها. مثلاً، إذا أكلت قطعة حلاوة وأعجبتها، تأخذها إلى السوق حتى تجد النوع نفسه فتشتريه لها. ذات مرة، أرادت نظارة، فذهبت إلى سوق المنامة معها لتسأل أين تباع (الكشمات)، وهي التسمية الشعبية المتعارفة للنظارة لدى كبار السن.

وتذكر موقفاً حصل معها في يوم العيد، إذ زينت ابنتها بكل ملابس العيد (الفستان الجديد والإكسسوار)، وحدث أن توفيت جارتهن، فجلست حزينة تبكي لعدم قدرتها على الاحتفال، فبعثتها إلى بيت ابنتها الكبيرة في قرية سفالة، حتى تتمكن من الاحتفال هناك.

حوش بلالة: حركة لا تنقطع وأنشطة متنوعة

كانت النسوة يقدمن على العمل مع بلالة في حوشها في المهام التي تحتاج إلى القيام بها بكل حب وطواعية، ومن الصور المطبوعة في ذاكرتي على سبيل المثال لا الحصر الاستعدادات

الحاجة بلالة شخصية مهمة عاشت مخاضات التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وبذلت كل جهودها للتكيف معها.

الحاجة خديجة بلال عبد الله علي (الحاجة بلالة)

لشهر رمضان بخبز التاوه. كانت النسوة تخبز في هذا الحوش، وكنا مثل القطط نجلس حولهن منتظرين عطاياهن الكريمة التي تكون عادة من الأقراص المتكسرة التي لا تصلح للف بشكل جميل. لذا، كنا ندعو السماء أن تزيد أخطاؤهن، والحقيقة أننا كنا ننبهر من مهارتهن الفائقة في الخبز، ونتململ إذا ارتفع معدل الإتقان وقلّت الأخطاء، فيقل نصيبنا من غنائم الأرغفة الساخنة.

ومن الذكريات التي أتذكرها أيضًا موسم صيد الروبيان الذي كنا نشترك فيه كأطفال أيضًا في الكثير من تفاصيله، وموسم الروبيان في بيت الحاجة بلالة كان يعني أن يأتي ابنها الحاج جمعة بمعية أصحابه الصيادين بكم هائل من الروبيان، يملأ الغرفة التي خصصت لاستقباله. كانت هناك غرفة غير مأهولة في نهاية الحوش، تستخدم لفرز الروبيان وبيعه، وكان لها نافذة مفتوحة على الخارج. لم تكن نافذة بالمعنى الحديث، بل كانت فتحة لنافذة مستقبلية لم تُنجز.

كانت هذه الفتحة تستخدم لبيع الروبيان والأسماك للزبائن. وقد تميز موسم الروبيان بالغزارة، بحيث كانت تسكب الثلاجات المملوءة بالروبيان داخل هذه الغرفة، حتى يصبح في كل مكان، ويرتفع شيئًا فشيئًا مع كل ثلاجة مسكوبة. وهنا يبدأ عملنا ولعبنا كأطفال، فقد كنا نقوم بمهمة الفرز، ونبعد الأسماك وسلطعون البحر (القباقب) عن مسرح الروبيان. ولهذه المهمة فائدة عظيمة تتجلى في أخذنا (القباقب) لطبخها وأكلها لاحقًا، وهي نصيب تعبنا من العمل.

بعد وصول الصيد، ينتشر الخبر في القرية، فيأتون من كل حدبٍ وصوب ليشتروا بقدر حاجتهم وقدرتهم على التخزين، وكنا نشترك في كل العمليات بقدر طاقتنا، مثل ملء الأكياس بالروبيان وتسليمها للشخص الذي يزن. المهم، وبعد انتهاء جميع المشترين من الشراء، تبدأ عملية التجفيف، والتي تبدأ بعملية سلق (فوح) الروبيان في "طشوت" كبيرة، مثل طشت الحلوى، وهي المهمة التي تقوم بها النساء. بعدها، يعطوننا الروبيان المسلوق في صوانٍ، فنذهب لنشره على الأسطح، ولا أذيع سرًا إذا قلت إننا كنا نأكل من الروبيان حد التخمة ونحن نعمل، ونرمي إلى القطط نصيبها، فتأكل معنا، وتأكل القرية كلها، والكل يشبع حد التخمة ويقنع.

حوش بلالة.. برلمان القرية ومركز الخدمات

هذا المجلس النَسَوي أشبه ببرلمان مصغر للقرية. تتجمع فيه نساء القرية ويتشاورن فيما يعرفنه وما لا يعرفنه. النقاش في هذا المجلس يتنقل في العديد من المواضيع، بدءاً من المواضيع التربوية، مروراً بالأسرية، فالاجتماعية والاقتصادية، وحتى السياسية...

كانت بلالة تدير دفة النقاش بقوة شخصيتها وصوتها القوي المميز. وقد كانت لها في كل موضوع مستشارة تثق برأيها. على سبيل المثال، كانت أم فاضل "فضة" موثوقة في نقل الأخبار بشكل عام، وأخبار التربية بشكل خاص، فقد كانت من المتابعات الحثيثات للراديو، ولم تكن تفوتها شاردة ولا واردة، فيقال في قريتنا: "قالت أم فاضل كذا"، وبلالة كانت لها قراءة لمؤهلات الحضور، فكانت تثق في كل جانب بشخص معين دون غيره، ولهذا كانت تستطيع التعرف إلى كل معلومة من الجهة الموثوقة لديها.

وكانت إذا أتتها معلومة معينة أو خبر لافت، ينفتح باب النقاش في مجلسها لتداول موضوعها، فإذا كان مما يحتاج إلى قرار، يتم بتّه بعد التشاور مع نساء القرية. على سبيل المثال، يوم عرفت بوجود معاشات تقدمها وزارة الشؤون الاجتماعية للأسر الفقيرة، جمعت نساء الأسر الفقيرة، واتفقت معهن على إحضار الوثائق المطلوبة للتسجيل للمعونات. وبعدها اتفقت مع حافلة في اليوم التالي، لتنقلهن جميعاً إلى الوزارة. وهكذا تجمعت النسوة في بيتها، وركبن الحافلة فور وصولها، وفي مقدمتهن الحاجة بلالة، إذ كانت في الوزارة تشرف على إجراءات الحصول على المعونة لصويحباتها.

هذا الموضوع واحد من عدة مواضيع أدت فيه الدور نفسه، فهي كانت تتلقف أخبار المعونات وتقوم بالمهمة السالفة مع اختلاف بعض التفاصيل، وفقاً لكل حالة، فقد قامت بالمهمة نفسها فيما يخص مساعدات الديوان الملكي ومساعدات حاكم البلاد الشيخ عيسى آل خليفة، كما كانت تأخذ نساء القرية الفقيرات إلى الهلال الأحمر في بداية كل عام دراسي، حتى يحصلن على قرطاسية المدرسة والزي المدرسي، فضلاً عن مساعدات شهر رمضان وكسوة الشتاء...

وهكذا كانت لها علاقات واسعة بكل من يمد يد الإحسان من الخيرين، فكانت تعمل كحلقة الوصل بينهم وبين نساء القرية. في الحقيقة، إن أكثر ما يميزها هنا ليس نشاطها وعلاقاتها الواسعة فحسب، بل أيضًا هذه الرغبة في أن ينال الخير الجميع، فهي لم تكن ممن يحب أن يقتصر الخير عليه، بل كانت تعمل بجهد لكي يصل الخير إلى كل من يستحقه من أهل القرية، وهذا ما أهلها لتسنّم هذه المكانة العالية في نفوس أبناء القرية جميعاً.

كان منزلها باختصار نقطة لأنشطة عديدة لا تكل ولا تحصى، ففي تاريخ 15 من كل شهر (وهو تاريخ نزول معاش الشؤون الاجتماعية للأسر الفقيرة)، يتجمع لديها جمع غفير من النسوة، فيشربن الشاي، ويذهبن إلى محطة النقل العام، وبعدها يتوجهنَ إلى سوق المنامة ليشترين حاجياتهن وحاجيات أسرهن، فكانت تتقدم الركب كل مرة لمعرفتها الواسعة بالسوق.

وقد كانت معروفة، سواء في سوق المنامة أو في سوق سترة "واديان"، حتى إن الباعة يعطونها ما تريد ويسجلون ما عليها في دفتر الديون حتى يأتي يوم المعاش، فتسدد لهم حساباتهم المتأخرة. وتروي لي ابنتها الصغرى بلقيس أنهم، بعد وفاتها، ذهبوا إلى السوق ليسألوا الباعة عن الديون المتبقية عليها، لكونها موثوقة الجانب لديهم، وتفاجأوا بأنها سددت كل المبالغ قبل وفاتها.

أحداث تؤرخ في القرية بقصص كفاحها

نساء القرية يؤرخن للكثير من الخدمات الحكومية من خلال تاريخ نشاطها. على سبيل المثال، يؤرخن أول امرأة حصلت على شقة من الدولة من خلال جهود بلالة مع زوجة خالها (زينب أحمد سند)، والتي عاشت بعد طلاقها في خرابة (بيت غير آهل للسكن الآدمي)، فلم تستطع بلالة السكوت على أوضاعها المزرية، فذهبت إلى الشؤون الاجتماعية، وطالبت لها بشقة، وتمخضت جهودها عن الحصول على شقة في مدينة عيسى، فكانت سابقة في تاريخ القرية. وهكذا العديد من الأمور الخدمية في الدولة، فكثير من أبناء القرية كانوا يأخذونها معهم إذا أرادوا أن يعملوا في مكان ما، كي تقنع المسؤول بحاجتهم وكفاءتهم للعمل في المكان الذي ينشدونه.

ومن صفاتها الشخصية المميزة أيضاً قوتها في النقاش والحجاج. هذه الجرأة في النقاش لم تكن تقتصر على مجلسها النسائي، بل تمتد إلى كل الأماكن بقلب جسور ثابت، فمن لديه قضية في المحكمة من أهل القرية يذهب إلى الحاجة بلالة ليعرف كيف يتصرف، فيعرض عليها القضية، وتعرض عليه كيف يدافع عن نفسه، بأن تصوغ الحجج المنطقية فيما يخص حقه، وتدربه على إلقائها مرة ومرتين وثلاثة، حتى تتيقن من قدرته على الدفاع عن نفسه، وبعدها تخلي سبيله كطفل نجح في اختبار، وأي اختبار أهم من اختبارات الحياة!

لذا، كانت بلالة لسان من لا لسان له، وبيان من لا بيان له. كانت تذهب مع النسوة كقائدة شعبية في كل مهمة صعبة بقلبٍ ثابت للمطالبة بحقوقهن، وأتذكر يوم جاء أخي هاني (رحمه الله) وحفيدها جعفر وأيديهما متورمة من الضرب في المدرسة بالخشب المدور. لما رأت ذلك، اشتعلت غضبًا، وذهبت بهما إلى إدارة المدرسة ودافعت عنهما بكل ضراوة، وقالت إنها تعترف بحق العقاب، لكن ليس بهذا الأسلوب، فللضرب حدود، ولم تخرج إلا بعد اعتذار إدارة المدرسة لهما، فخرجا منتصرين يرفعان رأسيهما بعدما كانا منكسرين. إن

شخصية كشخصية أمي الخجولة ما كانت تستطيع القيام بما قامت به الحاجة، وإن أرادت ذلك. لذا، تراها تشكر لها هذا الموقف وغيره من المواقف، والكثير من نساء حينا الخجولات يذكرن لها العديد من المواقف المماثلة.

مواقفها في الأزمات

يتذكر العديد من أبناء القرية وبناتها مواقفها معهم أثناء المرض، إذ كانت أماً حنونة للجميع، فحينما يقعد المرض أحدهم، تنبري الحاجة بلالة للمساعدة، فكانت تلازم المرضى وتهتم بهم، وكانت تذهب للرفاع، وتحضر دهنة تسمى في القرية "دهنة الشيخ عمر" (وهي دهن يقرأ عليه شيخ من الرفاع يسمى شيخ عمر، وكان يعتقد أن عين الحسود الشيعي يطفئها شيخ سني والعكس)، فكانت تحضر هذه الدهنة للمرضى الذين يعتقد غالبهم بالحسد، فتنعكس حالتهم النفسية إلى الإيجاب بعد استخدامها معهم.

وفي فترة ولادة إحدى نساء القرية، كانت تطبخ العصيدة وترسلها إليها بشكل يومي. كانت تعتبر كل نساء القرية جزءاً من عائلتها، وكانت تعودهن وتطمئن إلى حالاتهن. أما زوجات أبنائها، فكانت ترقد معهن في المستشفى، وتشرف على كل إجراءات تسجيل المولود وخلافه من إجراءات.

علاقاتها ببعض الأسر خارج المنطقة

كان لابنها جمعة الشملول علاقات واسعة بحكم قيامه بصنع (حظور صيد السمك) للعديد من الشخصيات المهمة، فضلاً عن قيامه بمهمة ترويض الخيول الجامحة (العساف). لذا، ارتبط بالعديد من أفراد الأسر الذين كانوا يزورونه ويزورهم، مثل أسرة آل سيف في أم الحصم وأسرة الغتم في العكر.

وقد كانت أمه "بلالة" هي التي تستقبل الضيوف في المنزل، وهي التي تمثل ابنها جمعة في تلك الزيارات المتبادلة، بحكم قوة شخصيتها وقدرتها على إدارة تلك العلاقات.

كلماتها وفلسفتها وشخصيتها

ما زلت أتذكر جلستها المميزة، حيث كانت تضع يديها خلف رأسها كمتكأ، وتمسح المكان بعينيها، وتوجه الحوار بصوتها القوي. ما زلت أذكر حجاجها القوي كشخصية لا تعرف النفاق والتصنُّع، فإذا كان لها رأي عبرت عنه بكل صراحة ووضوح وقوة ودافعت عنه لآخر رمق، والكلام الذي لا يعجبها تصفه بأشنع الألفاظ، وكم مرة سمعتها تصف كلاماً لا يروق لها بالخراء "هذا خرو مو كلام" من دون مهادنة!

وقبل أن نختم حديثنا عن الحاجة بلالة، علينا أن نستدعي من سيرتها أكثر الكلمات التي كانت ترددها في حياتها، وقد كان لديها مجموعة من الكلمات دائمة الترديد على لسانها، ومنها "يا فقرا موتو من قِلة القوتُ" و"اصرف ما في الجيب يأتكَ ما في الغَيب" و"الرزق على الله".

يمكن من خلال هذه الكلمات ملاحظة أنها تتركز حول قوت الإنسان، ولا غرابة في ذلك، إذ إنها ولدت في بيئة فقيرة وصعبة، وكان الكفاح من أجل العيش يمثل عملاً يومياً، وخصوصاً أن زوجها توفاه الله وترك لها حملاً ثقيلاً من دون راتب تقاعدي يعينها، فابتكرت من خلال شخصيتها ومهاراتها العديد من السبل والوسائل كي تعيل هذا العدد الكبير من أفراد أسرتها، وفي ظروف صعبة.

كشخص قريب منها من حيث النسب والسكن، كانت لدي العديد من المعلومات الانطباعية عنها، بعضها صحيح، وبعضها خاطئ (اكتشفت الخاطئ منها لما شرعت في جمع المعلومات عنها من أبنائها وأحفادها)، وأول هذه الأخطاء التي تحتاج إلى تصحيح هي أنها كانت تملك موارد مادية معتبرة، وذلك حين كنت أرى كيف تستطيع إدارة هذه الأسرة المترامية الأطراف والوفاء بمتطلباتها المعيشية، وعرفت بذلك أنها لم تكن تمتلك معاشاً تقاعدياً من زوجها أو غيرها من المعاشات، عدا معاش الشؤون الاجتماعية.

كما أني كنت مخطئاً حين كنت أعتقد أنها أكبر "بكثير جداً" من

عمرها، وأنها أكبر النساء في مجلسها، ولكني عرفت من السؤال عن تاريخ ميلادها التقريبي أنها تماثلهن عمراً، وبعضهن أكبر منها، فكيف إذاً تخيلتها في ذهني أغنى وأكبر!؟

الجواب عن ذلك يبدو لي الآن واضحاً وجلياً. سببه هو قوة الشخصية وسحرها، فالعطاء يوسع إطار الشخصية، والقيادة تعطيها عمقاً وهيبةً وجلالاً ينعكس في تصورنا عن القائد الذي يجب أن يكون أكبر سناً. والآن، لهذا أرى بجلاء أن القيادة لا تتعلق بالعمر والغنى المادي بقدر ما تتعلق بغنى الشخصية وقدرتها على العطاء.

كما كنت أتخيلها في صغري ضخمة من حيث التكوين الجسماني، وتفاجأت في كبري، وخصوصاً في آخر زيارة لي، أنها خفيفة المؤونة، كما يقول العرب. كل شيء فيها بسيط، عدا روحها المنبسطة والمحلقة بحرية في كل الأرجاء.

هذه نبذة مختصرة عن شخصية مهمة عاشت مخاضات التغير الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وبذلت كل جهودها للتكيف معها. عملت مع النسوة وأبناء الحي كتفاً إلى كتف، فأحببنها وأجللنها، كما تستحق ويليق بمقامها ومكانتها الكبيرة في قلوبهن، فلروحها الرحمة والسكينة والسلام.

نبيل علي عاشور: كاتب بحريني حائز على درجة ماجستير في علم الاجتماع، ويحضر أطروحة الدكتوراه. مهتم بالبحث والتوثيق والكتابة في القضايا الاجتماعية.

للتواصل عبر الإيميل: nabeeel.ashooor@gmail.com

حِنْفِيش بن رجب.. المهاجر العائد

ياسر بن رجب

تم اختيار شخصية المرحوم الحاج حنفيش بن ماجد بن رجب لما يكتنف سيرة حياته من بعض الغموض، بسبب غرابة الاسم وندرته بين الناس من جهة. من جهة أخرى، يودّ بعض أحفاد هذا الفرع من عائلة «بن رجب» تعزيز انتسابهم إلى شجرة هذه العائلة العريقة بأغصانها وفروعها وتوثيقها.

منذ فترة وجيزة، تم الاطلاع على مجموعة من الوثائق التي تتحدث عن شخصية الحاج حنفيش بن رجب وسيرته وهجرته إلى مدينة المحمرة وسفراته المتعددة. ويسرنا أن نسرد لكم بإيجاز عما توافر لدينا من تاريخ ومكانة هذه العائلة البحرانية ذات الجذور العريقة الضاربة في أعماق هذه الأرض العربية المعطاءة، ودور فرع جاسم بن رجب الملقب بـ«حنفيش» مع بقية أطراف عائلة بن رجب في تأسيس الحسينية العريقة التي باتت تُعرف بـ«مأتم بن رجب» في فريق الحطب في المنامة، ومن ثمَ سيتم التركيز على «شخصية حنفيش» بن ماجد بن رجب وهجرته وسفراته أيضًا إلى مدينة بومبي الهندية في بدايات القرن العشرين الآفل ومحاولاته للعودة إلى موطنه.

لمحة تاريخية عن عائلة بن رجب

أجرى الدكتور نصر بن يوسف بن رجب في العام 1991م بحثًا تاريخيًا مهمًا، توصّل ضمن نتائجه إلى فرضية مؤدّاها أنّ «رجب»[1] الجدّ عاش في القرن العاشر الهجري/الخامس عشر الميلادي، استنادًا إلى ما ذُكر في كُتب تراجم علماء البحرين عن شخصية الشّيخ محمّد بن حسن بن رجب المقابي الرّويسي [2]، وهو من أعلام القرن الحادي عشر الهجري. وعليه، يكون جد الشّيخ محمّد هو «رجب»، وهو اسم، وليس لقبًا.

وقد ذكر الشيخ يوسف البحراني في ترجمته عن الشيخ محمد بن حسن بن رجب: «وكان هذا الشيخ فاضلًا فقيهًا إمامًا في الجمعة والجماعة، وهو أول من صلى الجمعة في البحرين بعد افتتاحها في الدولة الصفوية»[3].

وتحدث الشيخ علي البلادي البحراني عن الشيخ محمد بن حسن فقال: «واستقضى في البحرين وقتًا ثم عزل، وهو من تلامذة شيخنا البهائي، وأخبرني شيخنا العلامة المحقق محمد بن ماجد الماحوزي البحراني، وكان كثيرًا ما يقع بيني وبين الشيخ محمد المذكور نزاع والشيخ (ره) ساكت يسمع..» [4].
وقد هاجر الشيخ محمد إلى شيراز في زمن الدولة الصفوية، وصحب معه في هجرته عددًا من أفراد أسرته.

أصل عائلة بن رجب

«يروي أبناء عائلة بن رجب أن أصولهم حجازية، وقد نزح أسلافهم من الجزيرة العربية. أفراد الأسرة في البحرين اليوم هم أحفاد الشيخ محمد بن حسن بن رجب، وهو عالم (رجل دين) عاش في البحرين في القرن السادس عشر»[5].

تجدر الإشارة إلى أنّ هناك وثيقة عثمانية ذُكر فيها اسم ابن رجب كعائلة تمتهن التجارة في العام 1593م[6]، وهي فترة تقارب حياة الشيخ محمّد بن الحسن بن رجب.

ولا شك في أنّ هناك حلقات مفقودة مثل غيرها من الثغرات ستساهم في تحقيق فهم أفضل في تاريخ البحرين يمتدّ إلى 200 سنة ما بين الجد «رجب» والشّيخ محمّد بن الحسن بن رجب الرّويسي من جهة، والأفرع الرئيسية التي تسكن في البحرين الآن من جهة ثانية، وهي سالم ومحسن وجاسم (انظر الملحق 1).

وقد برزت عدّة شخصيات من عائلة بن رجب، إضافة إلى الشيخ محمّد بن الحسن بن رجب المقابي الرّويسي البحراني، ومنهم:

- الشيخ حسين بن محمّد بن الحسن بن رجب المقابي الرّويسي البحراني.

«رجب» الجدّ عاش في القرن العاشر الهجري/الخامس عشر الميلادي. وهناك وثيقة عثمانية ذُكر فيها اسم ابن رجب كعائلة تمتهن التجارة في العام 1593م.

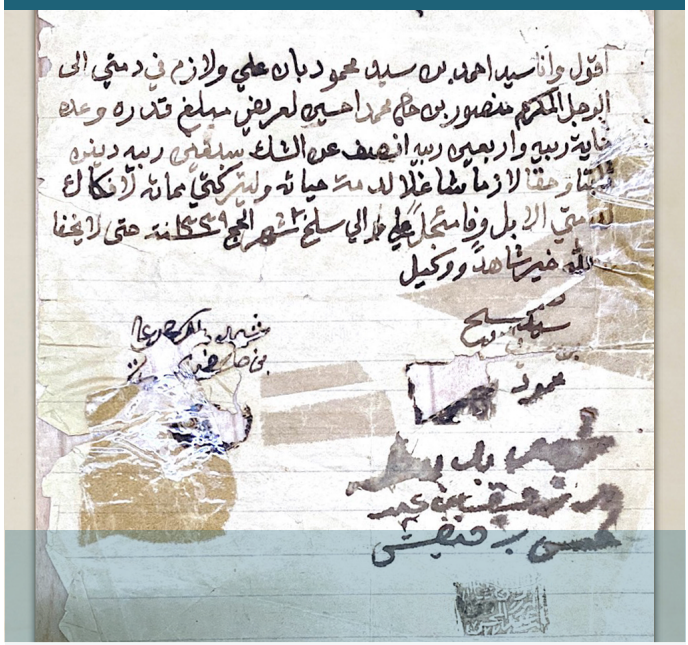

وثيقة تظهر استدانة السيد أحمد ابن السيد محمود من منصور ابن الحاج محمد حسين الغريفي

- الحاج محمد بن محسن بن محمد بن محسن بن رجب.
- الحاج إبراهيم بن محسن بن محمد بن محسن بن رجب (مولده 1820).
- الحاج منصور بن محمد بن محسن بن رجب.
- الحاج عبد الله بن محمد بن محسن بن رجب (ت 1889).
- الحاج جاسم بن رجب (الملقب بـ"حنفيش").
- الحاج حنفيش بن ماجد بن رجب (مولده 1881).
- الحاج عبد علي بن منصور بن محمد بن محسن بن رجب (ت 1940م).
- الحاج عبد الرسول بن عبد الله بن محمّد بن محسن بن رجب (ت 1952م).
- الحاج نصر بن عبد الله بن محمد بن محسن بن رجب.

دور الحاج جاسم بن في تأسيس مأتم بن رجب

هو الحاج جاسم بن رجب (الملقب بـ"حنفيش"[7]) (انظر الملحق 2). أمّا سبب إطلاق هذا اللقب عليه، فلعل له صلة بالمعنى اللُّغوي وما امتاز به الحاج جاسم بن رجب من صفات الأفعى أو الحية الضخمة، ولدهائه الذي تميز به. ويُعتقد أن هذا اللقب جاءه من التجار البحارنة الذين يسكنون عُمان وبندر لنجه.

كان الحاج جاسم يسكن قرية الحجر، وهي قريبة من قرية الرّويس التي سكنها الشيخ محمّد بن الحسن بن رجب المقابي الرّويسي قبل أن ينزح مع بقية أبناء عمومته إلى المنامة، حيث أسسوا المأتم[8] المعروف بـ«مأتم بن رجب» حاليًا في الربع الأول من القرن الثامن عشر ميلادي.

ما وصل إلينا هو أن للحاج جاسم ابنًا اسمه أحمد، يُعتقد أنه وُلد في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي. ويعتقد أيضًا، بحسب الموروث الشفاهي لعائلة بن رجب، أنه تزوج من ابنة الشيخ أحمد بن ماجد من بلاد القديم.

وقد تولى أمور الحسينية بعد وفاة والده، إذ قام بإعادة تشييدها من الحجر والطين، وكان بناؤها من السّعف والجريد. لذلك، أُطلقت تسمية مأتم «ابن حنفيش» على الحسينية، وهو المسمّى الذي ذكر في أكثر من وثيقة (انظر الملحق 4).

بعد وفاة الحاج أحمد، تولى أمور الحسينية ابنه الحاج ماجد حتى نهاية القرن التاسع عشر ميلادي. حينها، حدث تطور مهم، إذ هاجر الحاج حنفيش بن ماجد إلى المحمرة لأسباب غير معروفة.

ويُعتقد أنه بعد وفاة الحاج ماجد وهجرة الحاج حِنْفِيش حدث ارتباك في ولاية الحسينية، ما أدى إلى تدخل الحاج عبد الرّسول بن عبد الله بن رجب، إذ أنقذ الوضع بدمج المجلس الذي أسسه والده، والذي يجتمع فيه التّجّار، مع «مأتم ابن حنفيش»، وأطلق الاسم الجديد «مأتم ابن رجب» عليه، ليجمع أطراف العائلة كافة.

وبعد وفاته، تولّى ابنه الحاج حسن بن عبد الرسول ولاية المأتم، ثم الأبناء مُحمّد وجعفر ومنصور وبقية أبناء الحاج حسن حتّى يومنا الحاضر.

الحاج حِنْفِيش بن ماجد

ولادته

وُلد الحاج حنفيش بن ماجد بن أحمد بن جاسم بن رجب في العام 1881م[9] في المنامة، ونشأ وتربى فيها. وقد سُمي بحنفيش نسبةً إلى جده الحاج جاسم الملقب بـ"حنفيش".

أولاده

له من الذرية ابن اسمه صنهير، وابنة اسمها مسالك.

تنقلاته ورحلاته والأحوال التي مرّت به

في العام 1901م، ولأسباب غير معروفة، هاجر الحاج حِنْفِيش إلى المحمّرة [10] وعمل صفارًا [11] فيها.

وفي العام 1918م، عاد إلى البحرين[12] باستخدام بطاقة الأحوال المدنية الإيرانية التي أُصدرت له في العام 1901.

بعد مدّة قصيرة من بقائه في البحرين، أراد السفر إلى مدينة بومبي. ونظرًا إلى عدم وجود قنصلية إيرانية في البحرين آنذاك ليستخرج منها سمة سفر على بطاقة الأحوال الموجودة لديه، استخرج تصريح سفر من الوكالة البريطانية في البحرين.

وأثناء وجوده في بومبي، أصدرت له حكومة الهند البريطانية جواز سفر[13] رقم 1047، ولابنه صنهير جواز سفر رقم 1046.

بعد تعرّضه لمضايقات من السلطات المسيطرة على المحمّرة، حاول العودة إلى البحرين. وفي شهر آذار/مارس 1931م، ذهب الحاج حِنْفِيش بجواز سفره البريطاني إلى مخفر الشرطة المحلي في المحمّرة، إذ تمّ الضغط عليه كي يدفع مئة قران (Krs.100) ويقدم صورتين لإصدار جواز سفر إيراني له، وأُمِر بإخراج بطاقة الأحوال المدنية الإيرانية الجديدة. وبسبب هذه الضغوط، تردد في إخراج سجل الأحوال، وقرر التّخلي عن فكرة رحلته إلى بومباي[15].

وفي 5 أيار/مايو 1931م، استدعاه مخفر الشرطة في مدينة المحمرة، وتمت مصادرة جواز سفره البريطاني، وأجبر على تسجيل نفسه وابنه، واحتُجز في المخفر، وأُمر بتسليم جواز سفره البريطاني الصادر في بومباي قبل نحو ثلاثة عشر عامًا لابنه.

وفي خطاب بتاريخ 3 آب/أغسطس 1931 من نائب القنصل البريطاني في خوزستان إلى القنصلية البريطانية في الأهواز بتاريخ ذكر: «أبلغني الحاكم العام بأنه تم إرسال جوازات السفر إلى وزارة الداخلية في طهران»[16].

اللجوء إلى القنصلية البريطانية

لجأ الحاج حِنْفِيش إلى القنصلية البريطانية في المحمرة[17] وهو في حالة يرثى لها، لأنه كان يعدّ نفسه في خطر وشيك من الاعتقال وسوء المعاملة. لذا، طلب النصيحة والملجأ من القنصلية البريطانية، وبقي داخل حرمها لمدة يومين.

وفي القنصلية، وُجه إليه السؤال عما إذا كان بإمكانه أن يسلم جواز سفر ابنه صنهير إلى القنصلية بدلًا من مخفر الشرطة المحلي (الإيراني)، لكنه رأى أن هذا سيؤدي حتمًا إلى سجنه من قبل السلطات الإيرانية. غادر الحاج حِنفِيش بهدوء، وإن لم يكن مطمئنًا بشكل تام، وسلّم جواز سفر ابنه لمخفر الشرطة المحلّي.

من جانب آخر، في 11 حزيران/يونيو 1931، تمّ إجبار البحارنة المقيمين في المحمرة على الحصول على بطاقة الأحوال المدنية الإيرانيّة[18]. بعدها، حاول نائب القنصل البريطاني في المحمرة الاتصال بالحاج حنفيش، ولكنه لم يتمكن من ذلك، وقد علم أنّ الرجل يمنع من الوصول إلى القنصلية بالقوّة.

يقول نائب القنصل: «كل الظروف تظهر أنه تم ترهيبه للتوقيع على الوثيقة المعنية. أنا ملزم بأن أستنتج من هذا الدليل وما شابه ذلك أن السلطات المحلية، بناء على تعليمات من العاصمة، تخلق ظروفًا جديدة ومرهقة للحياة هنا للبحرينيين في خوزستان، في انتهاك للاتفاق الذي تمّ التوصل إليه بشأن الحفاظ على الوضع القائم في الخليج الفارسي».

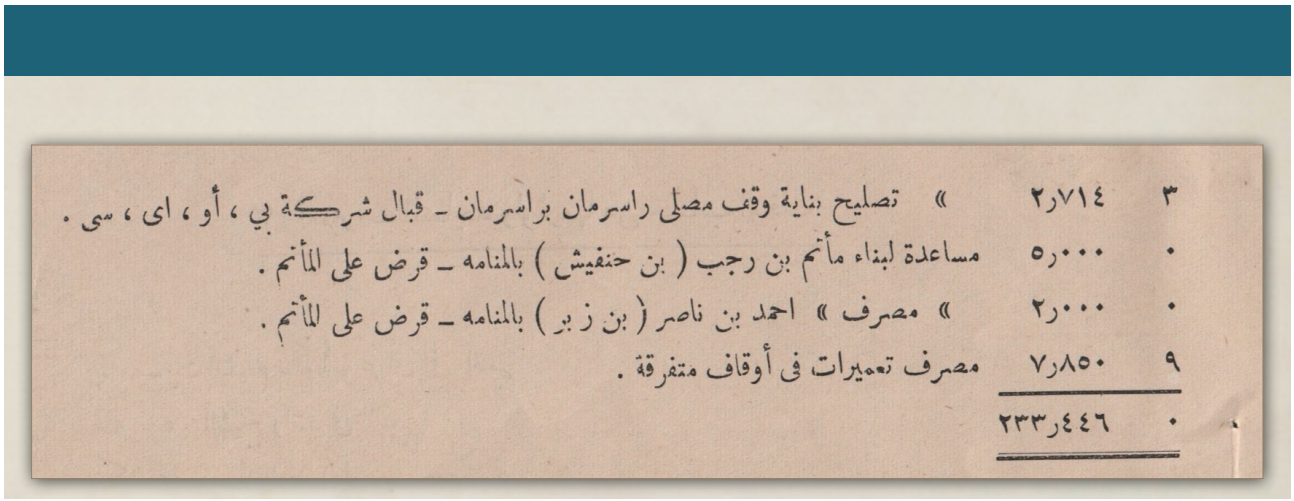

٣	٢ر٧١٤	» تصليح بناية وقف مصلى راسرمان براسرمان ـ قبال شركة بي ، أو ، اى ، سى .
٠	٥ر٠٠٠	مساعدة لبناء مأتم بن رجب (بن حنفيش) بالمنامه ـ قرض على المأتم .
٠	٢ر٠٠٠	» مصرف » احمد بن ناصر (بن ز بر) بالمنامه ـ قرض على المأتم .
٩	٧ر٨٥٠	مصرف تعميرات فى أوقاف متفرقة .
٠	٢٣٣ر٤٤٦	

الجريدة الرسمية، العدد 6 - السنة العاشرة، 7 رجب 1376هـ/ 7 فبراير 1957م

وفي 30 تموز/يوليو 1931م، أصدر نائب القنصل البريطاني في المحمرة هـ. ج. جاكنز شهادة طوارئ للحاج حنفيش وابنه صنهير، لتمكينهما من العودة إلى البحرين[19].

في 3 آب/أغسطس 1931م، أعاد وزير الشؤون الخارجية الإيراني جوازي سفر الحاج حنفيش وابنه إلى القائم بأعمال القنصل البريطاني في مدينة الأهواز، وقال له: «تتشرّف وزارة الشؤون الخارجية بأن تعيد إلى المفوضية الموقرة جوازي السفر التابعين للحاج حنفيش وابنه إلى السلطات المصدرة لهما. وبما أنهما من مواطني البحرين، فهما بالتالي يُعدان من الرعايا الإيرانيين، وقد سلما نفسيهما إلى المسؤولين الإيرانيين المحليين»[20].

وفي 15 آب/أغسطس 1931م، بعث نائب القنصل البريطاني في المحمرة هـ. ج. جاكنز خطابًا إلى قائمقام المقيم السياسي البريطاني في بوشهر يقول فيه:

«بالإشارة إلى رسالتي رقم 823/29/2 بتاريخ 30 يوليو الماضي، يشرفني أن أبلغكم أنه في محاولته مغادرة المحمرة، لاحظت السلطات الإيرانية أن جواز السفر الإيراني للحاج حِنْفِيش لم يكن يحمل تأشيرة من نائب القنصلية. أدى ذلك إلى اكتشاف شهادة الطوارئ التي أصدرتها ومصادرتها من قبل المخفر المحلّي»[21]. كما قال أيضًا: «أفهم أنّ الحاج حِنْفِيش الذي صرّح أنه يخشى الآن القدوم إلى نائب القنصلية ذهب إلى الأهواز لعرض قضيته على الحاكم العام هناك».

وفاته

للأسف، لم نجد ما يؤكد أنه استطاع العودة إلى البحرين، ويمكننا الاستدلال من خلال ما تقدم على أنه توفي في المحمرة ودفن فيها، ولكننا نجهل موقع قبره وتاريخ وفاته، إلا أن الحاج صنهير وأخته

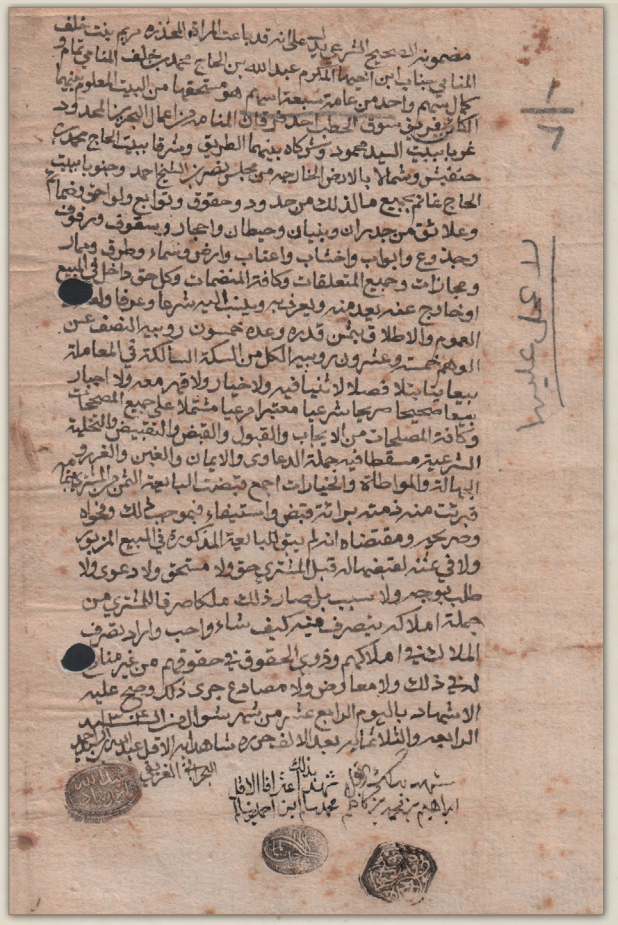

وثيقة توثق بيع مريم بنت خلف المنامي سهمها من البيت لعبد الله ابن الحاج محمد بن خلف المنامي

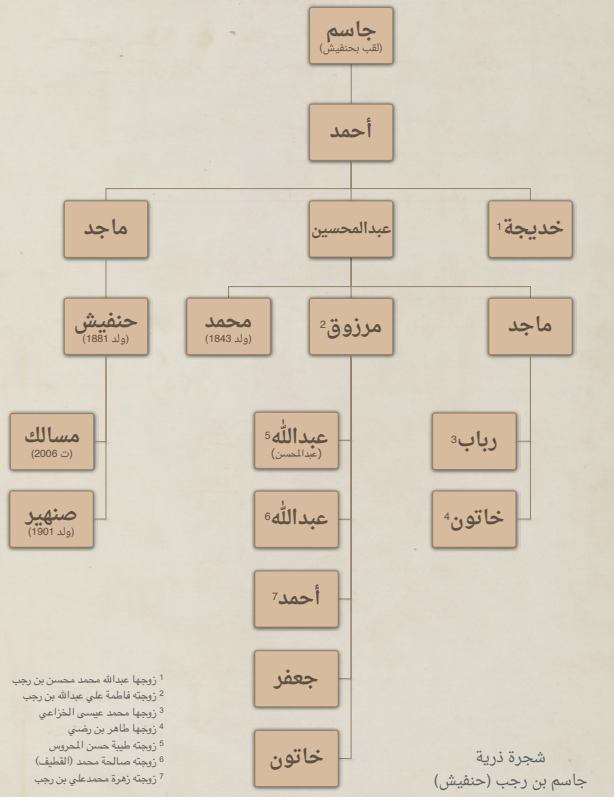

شجرة ذرية
جاسم بن رجب (حنفيش)

شجرة ذرية جاسم بن رجب (حنفيش)

الحاجة مسالك استطاعا العودة في سبعينيات القرن المنصرم (وكان الحاج صنهير في عمر متأخر) مع الشيخ عبد الحميد الخاقاني والسيد علي كمال الدين ومجموعة من البحارنة الذين يسكنون في المحمرة، كما ذكر الحاج عبد المحسن بن حسن بن رجب[22]. ويبدو أنهم استرجعوا الجنسية البحرينية أثناء وجودهم في البحرين.

بعدها، رجع صنهير مرة أخرى إلى المحمرة لمتابعة أعماله وتوفي فيها. وفي العام 2006، توفيت الحاجة مسالك، ودفنت في مقبرة المنامة (انظر الملحق 14). كما توفيت في العام نفسه الحاجة فضيلة بنت الحاج صنهير، ودفنت في مقبرة المنامة أيضًا (انظر الملحق 15).

الحاج ماجد بن عبدالمحسن بن حنيفش بن رجب

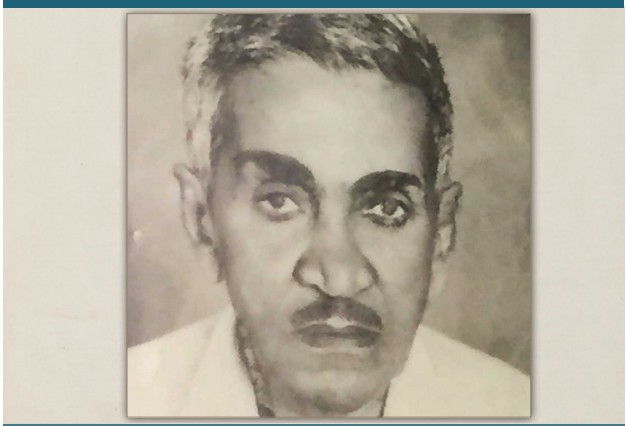

الحاج أحمد بن مرزوق بن عبدالمحسن بن حنفيش بن رحب

الهوامش:

1. نصر بن رجب، نسب بن رجب، ص 4.
2. نسبة إلى قرية الرويس التي تعد واحدة من قرى البحرين المندثرة التي هجرها أهلها لأسباب أمنية. تعود إلى ما قبل 400 عام، وتقع بين قريتي الشّاخورة ومقابة. انظُر: صحيفة الوسط، العدد 4276 - الخميس 22 أيار/مايو 2014م الموافق 23 رجب 1435هـ حسين الوسطي «اكتشاف قرية الرويس البحرينية».
3. الشيخ يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، ص 133.
4. علي بن حسين البلادي، أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين، ص 118.
5. James Onley, The Arabian Frontier of The British Raj (2007), 155.
6. محمد حميد السلمان، جريدة الوسط، العدد 343، الخميس- 14 آب/أغسطس 2003.
7. حِنْفِيشُ: الأَفْعَى أو حَيَّةٌ عظيمةٌ ضَخْمَةُ الرأسِ رَقْشَاءُ رَكْداءُ، إذا حَوَيْتَهَا، انْتَفَخَ وريدُهَا... انظُر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب، مادة: حنفش.
8. المأتم هو مبنى مخصص لإقامة المراسم الحسينية، حيث كان المسلمون الشيعة يحيون مآتمهم على الإمام الحسين، ثالث الأئمة، في البيوت، ثم خصصت مبانٍ خاصة سميت بالحسينية أو المجلس الحسيني. تقام في الحسينيات مجالس العزاء والمحاضرات الدينية في المناسبات الخاصة بأهل البيت أو العامة، كإقامة مجالس العزاء والفاتحة لسائر الناس، وليس لها أحكام المسجد.
9. الأرشيف البريطاني (انظر الملحق 7).
10. الأهواز أو الأحواز هي عاصمة ومركز محافظة خوزستان. تقع جنوب غرب إيران، ويخترق المدينة نهر كارون، وهي ترتفع عن سطح البحر 20 مترًا.
11. الصفار: صانع النحاس الأصفر.
12. الأرشيف البريطاني (انظر الملحق 8).
13. الأرشيف البريطاني (انظر الملحق 7).
14. الأرشيف البريطاني (انظر الملحق 7).
15. الأرشيف البريطاني (انظر الملحق 7).
16. الأرشيف البريطاني، (انظر ملحق 13).
17. المحمرة أو خرمشهر هي مدينة إيرانية تقع على الضفة الشّرقية لشط العرب في محافظة خوزستان في جنوب غرب إيران، وهي تبعد حوالى 10 كيلومترات شمال مدينة عبادان.
18. الأرشيف البريطاني (انظر ملحق 7).
19. الأرشيف البريطاني (انظر الملحق 9).
20. الأرشيف البريطاني (انظر الملحق 11).
21. الأرشيف البريطاني، (انظر الملحق 10).
22. حديث مع الحاج عبد المحسن بن الحاج حسن بن رجب (تشرين الأول/أكتوبر، 2020م).

المصادر والمراجع:

- بن رجب (نصر يوسف)، نسب بن رجب، (البحرين، 1991).
- البحراني (الشيخ يوسف)، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، (البحرين: مكتبة فخراوي، ط: 1، 2008م 1429هـ).
- السلمان (محمد حميد)، (صحيفة الوسط البحرينية، العدد 343، الخميس 14 آب/أغسطس 2003).
- الوسطي (حسين)، اكتشاف قرية الرويس البحرينية، (صحيفة الوسط البحرينية، العدد 4276، الخميس 22 أيار/مايو 2014م).
- سيف (عبد الله)، المأتم في البحرين - دراسة توثيقية، (البحرين: ط: 1، 1415هـ / 1995م).
- سجلات مكتب الهند (IOR) - المكتبة البريطانية / مكتبة قطر الرقمية - (أرقام الملفات): IOR/L/، 323/1/IOR/R/15، 1040/PS/10.
- James Onley, The Arabian Frontier off The British Raj (2007)

تاريخ الإرسالية العربية... شعوب جاهلة وحُكّام قبليون

ترجمة: غنى مونس

حين طلبت مني مجلة (أرشيفو) في المرّة الأولى البحث عن مجلة الجزيرة العربية المنسية "Neglected Arabia" والكتابة عنها، لم أمتلِك من الحماس ما يكفي. شعرتُ بأنّه موضوع ثقيل، وبأنّني أستطيع اختيار موضوع آخر أكثر جذبًا لي قبلَ القارئ، إذ أؤمن جدًّا بأنّ الشّغف الذي يتملّكنا أثناء الكتابة يتسلّل إلى قلب القارئ من بين السّطور.

كان ذلك قبل أن أبدأ فعلًا بقراءة بعض المقالات والأبحاث عن هذه المجلة، الّتي، كلّما انغمستُ في عالمها، وجدتُ ما يشدّني أكثر، فهي تجمع تأريخ المُبَشّرين لشبه الجزيرة العربية.

رأيتُ فيها امتدادًا لتاريخ شبه الجزيرة العربيّة وعمل المُبَشّرين في آن معًا، وبدأتُ رحلتي عبر مقال "الجزيرة العربية المنسية.. أرشيف لبلاد العرب"، لكنّه لم يكن كافيًا. بحثتُ وقرأتُ أكثر، عنها وفيها، وتكادُ الآن تنطبق عليّ مقولة "لم يزدني الوِردُ إلّا عطشًا".

وفي حنايا هذا الوِرد الكثير، غوصٌ في بعض ثنايا التاريخ، واستحضارٌ لأولئك المُبَشّرين الذين امتلكوا ما شكّل "قضية" بالنسبة إليهم، حملوها إلى ما رأوا فيه "الميدان الأصعب الذي تعمل فيه الإرساليات البروتستانتية"، ووصفوا الظّروف المحيطة بهم من "الحرارة الشديدة، والأسلوب البدائي في العيش، وصعوبات السفر، وبعد المسافة عن قاعدة الإمدادات"، إلى "تعصّب الشعوب وجهلها، وحقيقة أن البلاد خاضعة لسلطة حكّام قبليين، لا لحكومات متحضّرة"، والتي "تشكّل جميعها عوائق في وجه حريّة الوعظ بإنجيل المسيح".

من هنا كانت ولادة هذا المشروع، القائم على ترجمة نصوص ووثائق وردت في أرشيف الإرساليّة العربية والمُبَشّرين الّذين عملوا فيها. ومن هذا النّص، وعدد من النّصوص والوثائق والمقالات اللّاحقة، سنعرف شيئًا فشيئًا كيف وصل هؤلاء المُبشّرون إلى بلاد العرب، "منية قلبهم" و"الأرض الموعودة"[1]، أي شبه الجزيرة العربية والبحرين على وجه التّحديد، عبر تقارير ورسائل وردت في أعداد مختلفة من

مجلة "الجزيرة العربية المنسية"، إضافة إلى مخطوطات وكتب وضعوها بأقلامهم، وحملت إلينا تجاربهم.

وفي هذا النّص، نكتشف كيف توسّع عمل المُبَشّرين من البصرة إلى البحرين، مع وصول القسّ صمويل مارينوس زويمر إليها، وتأسيسه مقرّه الأوّل، كما نطّلع بعض الشيء على علاقة المُبَشّرين بالمحيط وبعض المشاكل الّتي واجهوها، إضافة إلى الأساليب التي اعتمدوها للوصول إلى قلوب البحرينيّين؛ وهو يرد في الكتاب تحت عنوان "الوصول إلى البحرين"[2]:

في خريف هذا العام، أُجرِيَت أول زيارة مُوسعة للبحرين، وهي مجموعة صغيرة من الجزر في منتصف المسافة، أسفل ساحل الخليج (The Persian Gulf) على الساحل العربي الشرقي. زار القس السيد زويمر الجزر في 7 كانون الأول/ ديسمبر من العام 1892، ومكث فيها طيلة الشهر.

وفي وقت مبكر من العام التالي (شباط/فبراير 1893)، زارها مرة أخرى، وبقيَ فيها حوالي 3 أشهر، وأسّس مركزًا للكتاب المقدس، لاقى منذ البداية نجاحًا مرضيًا. وهكذا مضى العام 1892، وهو العام الأول في العملية الحقيقية للبعثة العربية، في تداخل بين الخير والشّر، ولكن مع إقرار مُسبق، زادت وتيرته مع الأيام، بالامتنان لحقيقة أنّ صاحب هذا المشروع غير الاعتيادي حظيَ ببركة استثنائية. وكما قيل في أحد التقارير المبكرة: "في ضوء عدد من سنوات العمل المثمر في الظاهر، والذي جرى فيه افتتاح عدد من المرافق التبشيرية العظيمة الأخرى، يبدو أنّ صدى النتائج التي أدّت إلى موافقتهم على العمل في شبه الجزيرة العربية تردّد في السؤال التالي: "كيف تجلّت يد الله؟".

خلال العام 1893، توسّع عمل الإرساليّة ببطء مع خطط

من خلال مجلة «الجزيرة العربية المنسية»، نعرف كيف وصل المبشرون إلى بلاد العرب، أي شبه الجزيرة العربية والبحرين على وجه التّحديد.

الغرفة الأولى التي استأجرها القس صمويل مارينوس زويمر في مدينة المنامة في البحرين.

جديدة وعدد من الاختبارات والتّجارب في المواقع الجديدة، وثبت أن بعضها غير مرغوب به، لكن القليل منها أدّى إلى نتائج دائمة.

حظيت الإرساليّة بمنزل جديد في البصرة - وهو [المقر] الأول الذي يمكن القول بأيّ حال من الأحوال إنّ ملكيّته تعود إلى الإرساليّة. بُني [هذا المنزل] للمبشرين، وعُدّل [تصميمه] عن النماذج الأولية وفقًا لاقتراحات السيد كانتين، وحصلت [الإرسالية] عليه بموجب عقد إيجار مدته خمس سنوات.

شُغِل للمرة الأولى في آب/أغسطس 1893، وتبيّن أنّه نعمة عظيمة لطاقم الإرسالية، لأنّه وفّر لهم مكانًا نظيفًا وصحيًا للإقامة، ومكّنهم من تركيز عملهم في مكان أكثر مركزية وأكثر تكيّفًا مع احتياجاتهم أكثر من أيّ مكانٍ استطاعوا تأمينه سابقًا، وأثبت أثره على صحة المُبشّرين ومساعديهم، كما أضفى طابع الاستمراريّة على الإرسالية، ما دلّ على قيمتها الكبيرة، وشجّع جميع المهتمين بهذا العمل.

في غضون ذلك، توسع عمل بائعي الكتب المتجولين والكتاب المقدس ليشمل البلدات والقرى المجاورة خارج البصرة والبحرين، ولم ينتج عن ذلك فقط بيع عدد من الكتب المقدسة والكتب الأخرى، بل أدّى إلى زيادة الإلمام بكيفية إدارة العمل واللّقاء بالناس، وهو أمر ذو قيمة كبيرة للجهود المستقبلية.

ما كان كلّ هذا ليتم بالطبع من دون بعض التّدخل من السلطات التركية. وهكذا توقّفت الجولات في بلاد ما بين النهرين، أسفل شط العرب وأعلى نهري دجلة والفرات؛ وأُجبِر باعة الكتب المتجولون في بعض الأحيان على مغادرة بعض النّقاط، حيث كان بإمكانهم القيام بعمل موسّع. وفي حالات قليلة، صودِر مخزونُهم من الكتب وتمّت استعادته بصعوبة. وفي أي مكان تنال الحكومة البريطانية فيه أي نوع من النفوذ، كان موظفو الإرساليّات وممتلكاتهم، ومساعدوهم أيضًا، يحظون بأمان أكثر من الأماكن الأخرى.

ولكن حتى في هذه الأماكن، تم تحديد معارضة "الفريسيين"، كما سمّاهم زويمر، بسبب حماسهم لإجراءات الشريعة الإسلامية، كما هو الحال في البحرين، حيث مُنِع زويمر من بيع الكتب المقدسة في مركز كان قد استأجره[3] لهذا الهدف تحديدًا، ووُجّه إليه أمر لاحقًا بمغادرة الجزر، إلى أن أراحَه استئناف رسمي قدّمه المقيم البريطاني في بوشهر لفترة من مضايقاتِهم.

بالطّبع، مهما كانت الأخطاء السياسية أو الاجتماعية التي قد يُتّهم العلم البريطاني بها، هناك واقع مفاده أنّ درجة أكبر من الحرية الدينية والفكرية الممكنة من دونه تتبعه في جميع أنحاء العالم، والبشرية بأجمعها تدين لهذا الشعار، وللسّلطة التي يمثلها بالامتنان، على المستوى الإنساني، إذ حمل الإنجيل إلى ملايين الأفراد الّذين ما كان من الممكن الوصول إليهم لولا حماية بريطانيا العظمى للحرية الدّينية.

في العام 1893 أيضًا، تمّت مواصلة العمل الذي بدأه صمويل مارينوس زويمر في جزر البحرين في أواخر العام السابق، وأصبحت هذه النقطة، التي كانت تُعتبَر في البداية محطة خارجية للبصرة، مركزًا إرساليًّا ثانيًا، حيث كان حضور أحد المبُشّرين الثلاثة غالبًا.

وكتب زويمر: "أثبت العام الماضي أنّه، كما في البصرة، يوجد هنا باب كبير ومفتوح، وسيتطلّب العمل حضور مبشرٍ واحدٍ على الأقل، وخلال العام بأكمله إن أمكن. إنّ رجلًا عازبًا، مؤهلًا لممارسة الطب، ويحمل في قلبه رسالة التبشير، سيُشكّل العاملَ المثالي في هذه الجزر، إذ لا يوجد، في الجزيرة كلّها طبيب، مع وجود حوالي 50 ألف شخص هنا، وعلاج المُشَعوذين بربري إلى أبعد الحدود. وفي مكانٍ تُعالَج فيه الأسنان باستخدام الأوتاد، والمطرقة والملقط، وحيث يُملَأ سنّ مُجَوّف بالرصاص المُذَوّب لتخفيف الألم، فزتُ بعددٍ من الأصدقاء بطُرُقٍ أقلّ إيلامًا".

المراجع:

1. وردت هاتان العبارتان في قصيدة "إلى بلاد العرب" للمُبشر فرانسيس تومز. للاطلاع عليها وعلى المزيد من القصائد، انظر "ترانيم تبشيرية في الخليج العربي":
https://bit.ly/2tkwef4
2. جزء من الفصل الخامس من كتاب "تاريخ الإرسالية العربية" لمؤلّفَيه القس ألفريد ديويوت مايسون والقس فريدريك جي باروي، انظر:
Mason, Alfred DeWitt and Frederick J. Barney, "The History of the Arabian Mission", New York: Board of Foreign Missions, Reformed Church in America, 1926, p. 74-77.
3. عند وصول زويمر إلى البحرين، استأجر غرفة عند مسجد يتيم (قرب الموقع الحالي لفندق الريجنسي) في المنامة، وقسّمها إلى ثلاثة أقسام: قسم داخلي يضمّ المطبخ، وقسم ثانٍ للنّوم، وقسم أماميّ يضم عيادة، وكانت أوّل عيادة في البحرين، ووضع فيها كتب الإنجيل باللّغة العربيّة ليقرأ على المرضى منه. للمزيد الاطّلاع على محاضرة الدكتور عيسى أمين في مجلس أمير بن رجب الثقافي بتاريخ 26 أيلول/سبتمبر 2016 بعنوان "بدايات الطّب في البحرين"، انظر:
https://www.youtube.com/watch?v=b9KGsQ89znM

غنى مونّس: باحثة ومترجمة وأستاذة جامعية من لبنان، تعمل أيضًا في مجال الصّحافة الإلكترونية، حائزة على جدارة في التّربية من الجامعة اللّبنانية وماجستير في الإعلام والتواصل من الجامعة اليسوعيّة في بيروت.
للتواصل عبر الإيميل: ghina.mouaness@gmail.com

الثور في الموروث الحضاري

محمود بقلاوة

تطور الفكر الدلموني بفعل البيئة المصاحبة له وتنوعها والتجارب التي اكتسبتها، كما تطورت بفعل الزمن المتحرك؛ فبدأ هذا الفكر يستخدم مفردات من البيئة الطبيعية والمجتمعية، وينسب إليها مضامين فكرية، ويؤطرها في المجتمع في صيغ من التفاعل المشترك والمتعدد بين الظاهرات المادية وجوهرها من جانب، ودلالاتها المتحركة والمتحولة في الوعي والإدراك الاجتماعي من جانب آخر.

بهذه الحيوية المجتمعية في دلمون، دخلت الفكرة موسومة بالإثراء، وظهرت في الفنون الدلمونية قائمة من الشخوص والحيوانات والطيور والزراعة والطبيعة والعبادة والماورائيات، من خلال الأختام الدلمونية المتنوعة التي تحتفظ كل منها بدلالة معينة ومحددة هادفة. أُغدق عليها الفكر الاجتماعي، وحمل معها طاقة فاعلة وحيوية ساحرة، حتى غدت الطقوس الدينية طاغية عليها في دفن هذه الأختام مع صاحبها بعد الممات. وبذلك، بدت ذات صبغة قدسية وأشكال طقوسية إلى جانب إبراز الهوية والمنفعة.

إن الفكر الدلموني في هدفه الصناعي للأختام يحرر طبيعتها المادية بتأويلها إلى أشكال رمزية فاعلة في الطقوس الروحية والشعائر العبادية التي يقيمها المجتمع الدلموني في مراسم العبادة وطقوس دفن الموتى، إلى جانب الاحتفالات بمواسم الحصاد والزراعة وغيرهما.

لقد قام الدلمونيون بعمليات النحت في الصخر لاستخدامات خاصة بالمعابد، وقاموا بالحفر على الأحجار لصناعة الأختام وصب المعادن، ومنها عينة تمثال رأس الثور، وذلك لتأويل القوة وإبقاء الفكرة من خلال الشكل المنحوت لتكون حاضرة أبدية؛ فرأس الثور رمزية لحيوان الثور، وهو غير مقصود لذاته، بل للتعبير عن أفكار تنتمي إلى مستوى آخر غير منظور يعكس ذلك الفكر في المعتقد.

إن شكل رأس الثور المكتشف في معبد باربار الثاني في العام 1952م، والذي يعود تاريخه إلى العام 2500 ق. م، له من الدلالات الشيء الكثير بسبب صغر حجمه (ارتفاعه 20 سم) ونقشه في قالب يبرز دقائق تفاصيله، إلى جانب شكل القرنين الفريد من نوعه

في عالم الحضارات القديمة الذي لا يوجد له مثيل.

إن مثل هذا النحت والصب لرأس الثور الدلموني يبرز خصوصيته الرمزية الفريدة في حركة الفكر الاجتماعي والديني، كما يظهر دوره المهم في الطقوس والشعائر الدلمونية، إلى جانب مهارة التعقيد في التشكيل لصبه من معدن البرونز/النحاس.

مرت عملية صناعة رأس الثور الدلموني بمراحل متعددة، أولها فكرية، وثانيها عملية، منها عمل قالب منحوت ومحفور، ومن ثم تحضير المعدن المناسب وتجهيز المعمل لعملية صهره وصب في القالب لاستخراج تحفة فريدة أثرية ما زالت باقية، كما كان مقررًا لها في الفكر الدلموني، في محاولة للحؤول دون تحللها وفنائها.

لذا، يكمن نحت رأس الثور وتشكيله من خلال تأويل القوة في الفكرة التي يمثلها الشكل، لتظل حاضرة دائمة تنبئ عن جوهرها. إن تشكيل رأس الثور غير مقصود لذاته، بل للتعبير عن أفكار تنتمي إلى مستوى آخر غير مرئي، فذلك الشكل المادي في الهيئة يبرز الهيبة، تأويلًا لفكرة معنوية حيوية متحركة في بنية الفكر الاجتماعي الدلموني.

تتضمن الأختام الدلمونية الكثير من النقوش للثور، لتروي لنا عن تكاثره في البيئة الرزاعية وعناية المجتمع الدلموني بهذا الكائن الرمز، نظرًا إلى دلالاته القدسية، فهو لم يقدس لذاته، ولكن لمظهره المحسوس، الذي يبرز دلالات عميقة تكمن في قوته الهائلة وقدرته على التكاثر والاستفادة منه في أعمال الزراعة والانتفاع من لحومه وأعضائه، حتى بات قرناه الأبرز في العديد من الأختام الدلمونية.

الفكر الدلموني أوعز بتصميم رأس الثور، لكي يتعدى مجاله المادي والمحسوس، ويتجلى في ما يسكنه من روح فاعلة في تنشيط مظاهر الخصب والنماء والتكاثر والتناسل في الطبيعة.

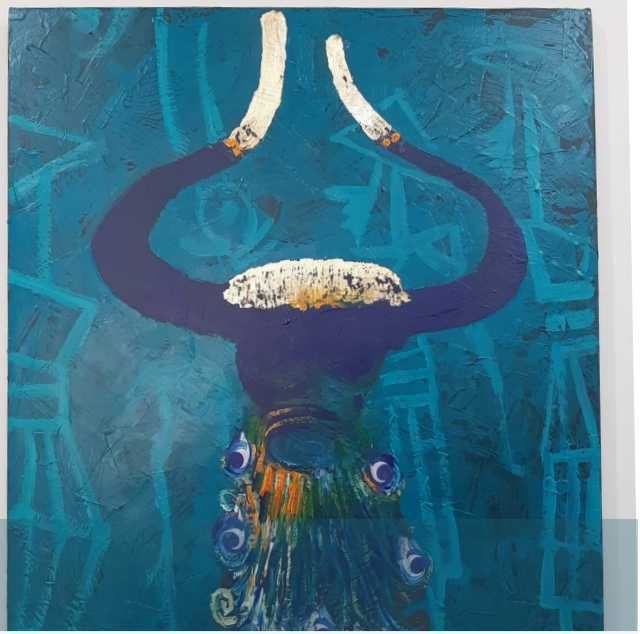

تتضمن الأختام الدلمونية الكثير من النقوش للثور

إن رأس الثور الدلموني المميز جزء من أعضاء الثور، باعتباره العضو الأهم، وتبرز رمزيته في حلول القوة في الطبيعة، والقدرة على فرض الواقع الذي تتقمص هذا الكائن وخصائصه المتفوقة، حتى غدا في تفرده رمزًا لقوى التكاثر والتناسل في استمرارية الوجود. وبهذا، يتحول شكل رأس الثور، العضو المهم من الجسد، من خصوصيته الطبيعية المجسدة إلى شكل رمزي في الحراك الفكري الاجتماعي الدلموني، حين توجت به مقدمة القيثارة الدلمونية الوترية بمظهره المتميز وفتحات عينيه، إلى جانب شكل القرنين المميزين، وتمظهره بمعدن البرونز/النحاس، ووجوده في طبقة المعبد الثاني لمجمع معابد باربار الأكثر قداسة.

إن الفكر الدلموني أوعز بعمل هذا الشكل المتمثل في رأس الثور، لكي يتعدى مجاله المادي والمحسوس، ويتجلى في ما يسكنه من روح فاعلة في تنشيط مظاهر الخصب والنماء والتكاثر والتناسل في الطبيعة، حتى تكون رمزيته في الفرادة مع التوحد مع القوى الأخرى في الماورائيات، فكانت تلك الصور تعامل بقدسية، لكونها تحمل فعلًا روحيًا، حتى استبدل الفكر الدلموني محل الكائن المجسد بالمضمون والجوهر، أي استلهم من المفهوم في التعامل به، عوضًا عن التعامل بالأشياء، لكونه مادة جامدة، فاتخذ الفكر الدلموني هذا الاستبدال بفعالية للتعريف بالدلالات المرتبطة بجزيئات هذا الثور المتمثلة في رأسه نحو العموميات في دلالات حضورها التي تبرز كل معاني الخصب والنماء والتكاثر في مظاهر دنيا الوجود.

من هنا تأتي أهمية شكل رأس الثور في الطقوس، فقد وجد في المعبد، واستخدم في إبراز القيثارة الوترية التي تعزف إيقاعات قدسية لطقوس دينية في العزف خلال تقديم القربان في منصة المذبح. ولعل الثور هو الأبرز في تقديم تلك الأضاحي العبادية، إلى جانب شكله المميز والفريد، وفتحات العينين، وشكل القرنين، ومعدنه المشكل بمعدن البرونز والنحاس. إنه نوع خاص.

وبذلك، تتجلى لنا دقة إنجاز هذا العمل الفني المقدم للمعبد في تفاصيله الدقيقة التي تخبرنا عن تقدم تقنية النحت والحفر والصب وصناعة القوالب وتقنية نحت المعادن واستخدام القوالب في إنجاز الأشكال، فالفكرة في مجملها هي أن الشكل المحسوس يلج مجال الشعائر في المعابد وفي إقامة الطقوس في عالم روحي ومعنوي، تصبح فيه المعرفة بمثابة الكشف عن المعتقد والمعبد، وبالتالي المجتمع الذي تكون نواته الفرد الإنسان، وعن أشيائه وخصائصه الذاتية. وبذا، يتحرر الرمز من القيود الدالة على الشكل المادي المحسوس، ليكون أكثر حيوية وتجرده من شكله إلى جوهره.

إن تشكيل رأس الثور الدلموني سبقته أفكار تجمعت في شكله من خلال التنوع، والذي من شأنه أن يعد من أعمال النحت الحديثة، وهو السابق لها في جمالية فنية أبدعتها مهارة دلمونية رائعة ذات هدفية تكمن في التأويل الكيفي الإبداعي في استخدام المواد، لإبراز تكوين الشكل المطلوب فكريًا، لتبرز في الذهن الفكرة المعنوية، وإن كانت فكرة الصلابة المادية متمثلة في استخدام المعدن المعد لكي يبقى، لا ليتحلل ويفنى، وتلك هدفية أخرى.

في عمل تشكيل رأس الثور، نتعرف إلى الفنان المبدع الذي شكله وبعث بريقًا لنا من خلال عمله الذي أزال منه كل الأشكال المادية، لتكون بين أيدينا هذه التحفة الإبداعية الباقية في متحف الحضارة الإنسانية، لكي يظل مخاطبًا الفكر الإنساني بطريقة رمزية شمولية واضحة.

محمود بقلاوة: باحث بحريني مهتم بتاريخ دلمون. له العديد من الأبحاث والمؤلفات، من بينها «قيثارة دلمون الوترية».

للتواصل عبر الإيميل: mahmood66.bh@gmail.com

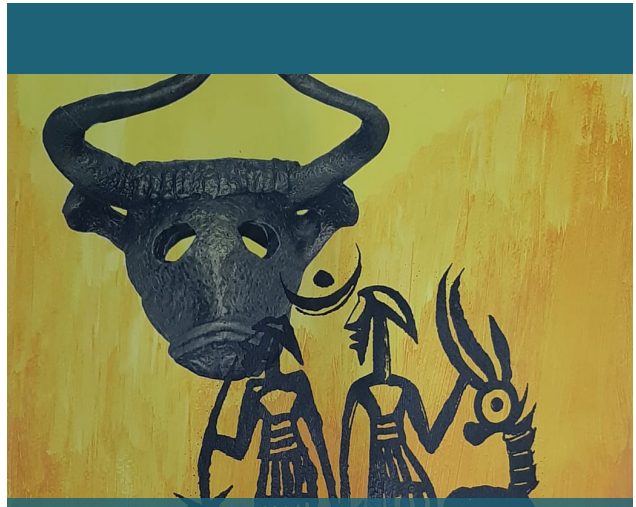

استخدم رأس الثور في إبراز القيثارة الوترية التي تعزف إيقاعات قدسية خلال تقديم القربان

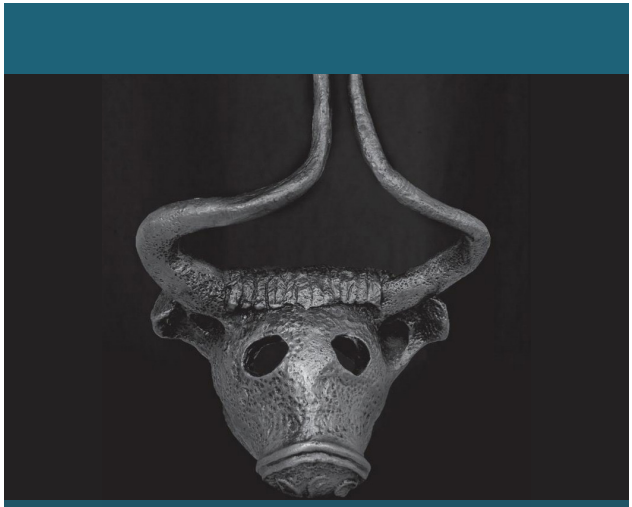

نحت رأس الثور الدلموني يبرز خصوصيته في حركة الفكر الديني

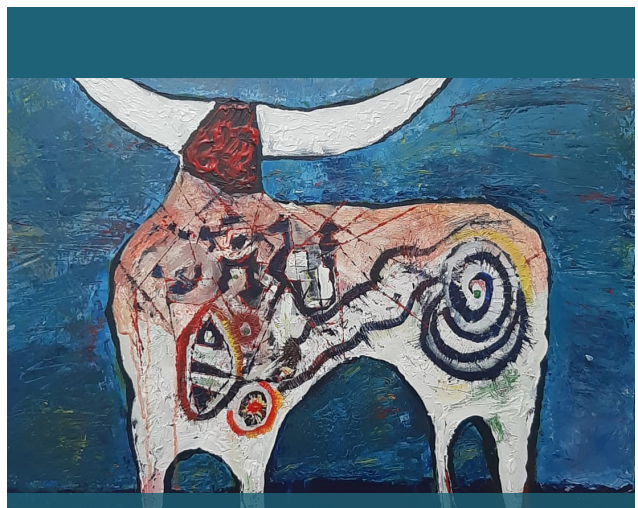

لم يقدس الثور لذاته، بل لمظهره المحسوس ودلالاته العميقة

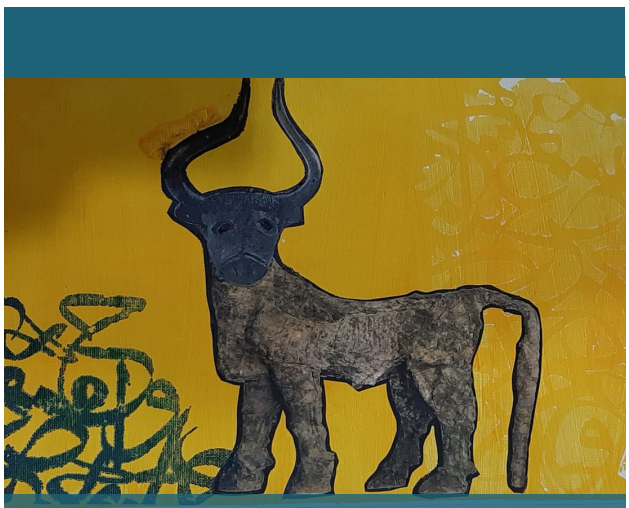

لرأس الثور رمزية في الحراك الفكري الدلموني

جانب من وثائق مشروع «وثاقية»

متابعات

"وثاقية".. لتثبيت ذاكرة المقاومة اللبناني في الأرشيف الوطني

أطلقت المتخصصة في موضوعَي الذاكرة والأرشيف أماني رمّال ومجموعة من المتطوعين مشروع "وثاقية"، في 25 أيار/مايو 2022، بهدف حفظ ذاكرة اللبنانيين المرتبطة بالاحتلال الإسرائيلي والصراع معه منذ عام 1948، من خلال جمع أرشيف العائلات اللبنانية، لتثبيت ذاكرة المقاومة في الأرشيف الوطنيّ من خلال هذه المبادرة المجتمعيّة بشكل احترافيّ وعلميّ.

تقول صاحبة المشروع أماني رمال إنّ "هذه المبادرة تسعى إلى بناء أرشيف مجتمع المقاومة عبر جمع وحفظ وثائقه، التي تُعبّر عن طبيعة الحراك المجتمعي الذي أسّس لقيام فعل المقاومة في جنوب لبنان ورافقه ودعمه منذ العام 1948".

وتلفت رمال إلى أن "المنازل والبيوتات اللبنانية تحتوي في مكتباتها وأرشيفها الآلاف من المواد الموثّقة التي قد لا يُعيرها أحد اهتمامًا، لكنها في الواقع ترسم الملامح السياسيّة والثقافيّة والإعلاميّة والإعلانية للمقاومة في لبنان، وتفاعل الناس مع الأحداث المفصلية في تاريخ الصراع مع العدو الإسرائيلي".

ويهدف المشروع إلى جمع الأرشيف الخاص بمجتمع المقاومة وحفظه، ورفع الوعي بأهمية أرشيف المقاومة وضرورة الحفاظ عليه كجزء من الذاكرة الوطنية اللبنانية، وإطلاع الجيل الشاب على ذاكرته الوطنية وتحفيزه للمشاركة في بنائها، وإتاحة الأرشيف للمنتجين في القطاعات الثقافية والإعلامية والفنية، وللباحثين في المجال التاريخي والسياسي والاجتماعي لحركات المقاومة في لبنان.

"الموسوعة الفلسطينية التفاعلية".. منصة رقمية توثق تاريخ فلسطين الحديث

في الذكرى الرابعة والسبعين للنكبة، أطلقت «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» بالشراكة مع «المتحف الفلسطيني» مشروع «الموسوعة الفلسطينية التفاعلية» التي تُعدّ منصّة رقمية تتبّع تاريخ فلسطين الحديث منذ نهاية الحقبة العثمانية حتى الوقت الراهن.

فعاليات إطلاق الموسوعة الفلسطينية التفاعلية

تتضمن المنصّة التي تم العمل عليها لمدة 8 سنوات آلاف النصوص التي أعدّها خصيصًا للمشروع باحثون عرب وأجانب متخصّصون في القضية الفلسطينية، لتكون مرجعًا للباحثين والطلاب والمهتمين.

تقدّم الموسوعة جدولًا عامًا للأحداث بتواريخها المحددة، وجداول زمنية في موضوعات مختارة، وإضاءات على تطورات سياسية وعسكرية ومؤسسات، وأوجهًا مهمة من الحياة الفلسطينية الاجتماعية والثقافية والنضالية، وسيَرًا لشخصيات فلسطينية تركت بصماتها في تاريخ فلسطين في القرن العشرين، ومئات الوثائق التاريخية والصور والخرائط، ونبذة عن كل قرية من القرى الأربعمئة ونيف التي تهدمت خلال النكبة (استنادًا إلى كتاب وليد الخالدي «كي لا ننسى» الصادر عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية»)، وربطها بنظام معلومات جغرافية.

الأرشيف والمكتبة الوطنية في الإمارات يحتفي باليوم العالمي للأرشيف

أطلق الأرشيف والمكتبة الوطنية في الإمارات احتفالاته بالأسبوع العالمي للأرشيف، الذي يصادف 9 حزيران/يونيو، بمشاركته في عدد من الفعاليات المتخصصة، أبرزها مؤتمر "الذكاء الاصطناعي والبلوك تشين في إدارة الوثائق والأرشيف" الذي ينظمه المجلس الدولي للأرشيف.

ونظم الأرشيف والمكتبة الوطنية «ملتقى دور الجهات الحكومية في دعم ذاكرة الوطن»، وشارك في ندوة «الأرشيفات الوطنية في الدول الإسلامية: التجارب المتميزة والتوجيهات المستقبلية» في مدينة الرياض.

وفي 7 حزيران/يونيو 2022، عقد «ملتقى دور الجهات الحكومية في دعم ذاكرة الوطن»، الذي تناول دور الجهات الحكومية في دعم ذاكرة الوطن، من خلال تنظيم الأرشيف وحفظه.

«الوثائق والمحفوظات» في السعودية تحتفي «بالأرشيفات الوطنية في الدول الإسلامية»

تزامنًا مع الاحتفاء باليوم العالمي للأرشيف، نظم المركز الوطني للوثائق والمحفوظات في السعودية، بالتعاون مع منظمة التعاون الإسلامي، ندوة علمية بعنوان "الأرشيفات الوطنية في الدول الإسلامية: التجارب المميزة والتوجيهات المستقبلية".

تأتي الندوة ضمن رغبة المركز الوطني للوثائق والمحفوظات في تعزيز العمل الإسلامي المشترك في مجال الوثائق والأرشيف، وتبادل الأفكار والرؤى، بما يعود بالنفع على مجريات العمل الوثائقي في الدول الإسلامية.

لبنان.. مشروع ضخم لرقمنة أرشيف التلفزيون ووزارة الإعلام

يسعى وزير الإعلام اللبناني زياد المكاري لإنجاز مشروع رقمنة وتنظيم أرشيف تلفزيون البلاد الرسمي ووزارة الإعلام، الذي يشكل ذاكرة الشعب الثقافية والتاريخية والفنية.

ويجري المشروع بالتعاون مع المعهد الوطني السمعي البصري الفرنسي المتخصص وصاحب الخبرة الكبيرة في هذا المجال، وبمساعدة من السفارة الفرنسية لدى لبنان.

ويتوزع هذا الأرشيف على وزارة الإعلام اللبنانية بأقسامها المختلفة، والإذاعة اللبنانية والوكالة الوطنية للإعلام ومديرية الدراسات والمنشورات، وكذلك على مبنى تلفزيون لبنان الرسمي.

وقال المكاري إن "مشروع نقل أرشيف الوزارة من حاله الحاضر الورقي والصور والتسجيلات ورقمنتها مع كل محتويات أرشيف تلفزيون لبنان الغني والتاريخي، يشكل مشروعًا حضاريًا ثقافيًا من شأنه الحفاظ على ذاكرة لبنان وتاريخه ونقله للأجيال المقبلة".

ويحتوي أرشيف وزارة الإعلام وتلفزيون لبنان تسجيلات نادرة وصورًا ومسلسلات محلية مصورة بالأبيض والأسود تؤرخ لانطلاق تلفزيون لبنان، والحالة الثقافية التي طبعت البلاد في مطلع الخمسينيات والستينيات، حين كان تلفزيون لبنان من أوائل التلفزيونات التي انطلقت في العالم العربي.

وستحافظ الخطة على تسجيلات نادرة في إذاعة لبنان الرسمية، ولقاءات مع كبار السياسيين والفنانين السابقين الذين غادروا الحياة، وأصبحت مقابلاتهم جزءًا من التاريخ ومن ذاكرة الوطن، وكذلك أرشيف الصور في كل من مديرية الدراسات والمنشورات اللبنانية والوكالة الوطنية للإعلام الرسمية.

حفل إطلاق منصة المكتبة الوطنية الرقمية في تونس

تونس: المكتبة الوطنية تطلق منصّتها الرقمية للأرشيف

أطلقت المكتبة الوطنية في تونس منصة رقمية ستمكّن الباحثين في مختلف أنحاء العالم من الاطّلاع على رصيدها من وثائق ومخطوطات. هذا المشروع يعدّ من أبرز المشاريع التي تمّ إنجازها في السنوات الأخيرة في تونس.

النظام الرقمي للمكتبة، كما قدّمته مديرتها رجاء بن سلامة، يحتوي أكثر من 500 ألف وثيقة، و10 آلاف وثيقة مرقمنة وبوابة توثيقية للنشر مقسّمة إلى بوّابات فرعية مترابطة وفق قاعدة بيانات موحّدة.

وأعلنت بن سلامة أن «المكتبة تعمل في الوقت نفسه على إطلاق النواة الأولى من متحف التراث المكتوب تقدّم فيه بثلاث لغات ما يزيد على 700 كتاب ودورية ومخطوط تمثّل الإنتاج الفكري والأدبي والفني في تونس من العصر اللوبي والبونيقي إلى اليوم».

وحدّدت المديرة العامة للمكتبة الأهداف الرئيسية لهذه المنصة الرقمية بتحقيق اللامركزية الثقافية وديمقراطية المعرفة وتوفير قواعد البيانات والموارد التي تساعد على البحث العلمي وحفظ الوثائق المهددة بالتلف، بتوفير نسخة منها غير أصلية لروّاد المكتبة وتثمين التراث التونسي المكتوب.

إطلاق أول أرشيف مصور لإرث منصور الرحباني الغنائي والمسرحي

احتفت أسرة الفنان اللبناني منصور الرحباني بذكرى رحيله عبر إطلاق أول أرشيف مصور لكل أعماله المسرحية والغنائية في مسيرته الحافلة بالإنجازات الفنية.

واختار الإخوة مروان وغدي وأسامة إحياء ذكرى والدهم منصور بطريقة مختلفة عبر إطلاق قناة رسمية في موقع الفيديوهات العالمي "يوتيوب" يضم مئات الأعمال الفنية له منذ منتصف الثمانينات حتى رحيله منذ 13 سنة مضت، تضم أبرز المسرحيات والأعمال الغنائية مرفقة بمجموعة من اللقاءات التلفزيونية المهمة في مسيرته.

وتحوي القناة المصورة أرشيفًا كاملًا لتراث منصور المرمم، مع تقديم نسخة مرممة ومعدلة لأعماله القديمة، بدءًا من سنة 1986، من كتاباتٍ نثريّة وشعريّة، وأعمال مسرحيّة كاملة، منسَّقة في حُلَّة جديدة وفق أحدث التّقنيّات صوتًا وصورةً، مضافًا إليها مجموعة الأغاني الّتي كتبها ولحّنها، وحلقات تلفزيونيّة كاملة قرأ فيها منصور لنخبة من كبار الشّعراء، ولقطات خاصّة تَظهر للمرّة الأولى من كواليس تحضير مسرحياته، إضافة إلى المسرحيّات الغنائيّة الّتي قُدّمت وصُوّرت بعض مقاطعها في الدّول العربيّة ومهرجانات لبنان ولم تُعرض بكاملها، مثل مسرحيّات "صيف 840" "النّسخة الجديدة - في كازينو لبنان ومهرجانات بيبلوس عام 2009"، و"آخر أيّام سقراط" في دار الأوبرا في القاهرة والإمارات العربيّة المتّحدة عام 1999.

"الأونروا" تطلق أرشيفها الرقمي

بعد 13 سنة من العمل المتواصل، أعلنت «الأونروا» انتهاءها من مشروع «رقمنة» أرشيف الوكالة، الذي يهدف إلى الحفاظ على الهُوية وعلى الذاكرة الجمعية للاجئين الفلسطينيين.

تمتلك وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى «أونروا» أرشيفًا ضخمًا سمعيًا وبصريًا، يضم أكثر من نصف مليون مادة من صور النيغاتيف والصور المطبوعة والشرائح المصورة والأفلام وأشرطة الفيديو التي تغطي جوانب حياة اللاجئين الفلسطينيين من الرجال والنساء والأطفال في حياتهم داخل المخيمات والتجمعات التي انتشرت في المنطقة العربية، وذلك منذ بدايات النكبة الفلسطينية سنة 1948 حتى يومنا هذا.

ويضم أرشيفها بشكله الحالي 430 ألف صورة فوتوغرافية، ونحو 10 آلاف صورة مطبوعة، إلى جانب 85 ألف شريحة عرض، و75 فيلمًا وثائقيًا، فضلًا عن 1190 شريط فيديو. وقد قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو» بإدراجه ضمن ذاكرة العالم، في اعتراف أممي بقيمته التاريخية.

وللحفاظ على هذا الأرشيف من التحلل بفعل الزمن، قامت وكالة «الأونروا» بإنجاز مشروع الرقمنة (الديجيتال) والإعلان عنه مطلع آذار/مارس 2022.

ويوثق الأرشيف مراحل اللجوء الفلسطيني على مدى أكثر من 7 عقود، إذ إن محتوياته كما يقول المستشار الإعلامي للأونروا عدنان أبو حسنة «كانت موزعة في أماكن مختلفة في غزة ولبنان والأردن، وكانت معرضة لكثير من المخاطر الأمر الذي دفع الوكالة الأممية للقيام برقمنته وإنقاذه حفاظًا على الذاكرة الجماعية، وترسيخًا للهوية الفلسطينية، وتأسيسًا لروابط وصل بين الأجيال الحاضرة والأجيال اللاحقة».

حاجز قلنديا أثناء اجتياح رام الله عام 2002

موقع إلكتروني جديد للأرشيف الرقمي في المتحف الفلسطيني

في اليوم العالمي للأرشيف، احتفى المتحف الفلسطيني بإطلاق الموقع الإلكتروني لمشروع الأرشيف الرقمي بنسخة مُعدّلة وجديدة. ويضمُّ الموقع ما يزيد على 150 ألف مادّة تُضيء على جوانب مختلفة من التاريخ الاجتماعي الفلسطيني من عام 1800، جُمعت من أفراد ومؤسّسات من مختَلف مناطق فلسطين التاريخيّة ولبنان والأردن، ليتيح الإمكانيّة لأيّ مُهتمّ للبحث عن هذه الموادّ، ومعاينتها وحفظها، وأخذ معلوماتها، وليكون مصدرًا مهمًا للباحثين والمهتمّين.

تحمل النسخة الجديدة للموقع تسهيلات عدّة للمستخدمين، منها سهولة وسرعة الوصول إلى الصورة أو الوثيقة، وتوفّرها باللّغتين، العربيّة والإنجليزيّة، وتصنيف المواد المُدرجة إلى فئات تسهّل على المستخدم الوصول إليها، إضافة إلى إتاحة الإمكانيّة للمستخدم، لإضافة معلومات إلى المادّة المؤرشفة قبل تدقيقها ثانية.

وتتنوّع المواد الأرشيفيّة التي يضمّها الموقع لتشمل العديد من المجموعات الشخصيّة والعائليّة والفنيّة والمؤسّسيّة التي تعود إلى مواطنين وأدباء وفنّانين وصُحف ومجلّات وجمعيّات ونقابات مهنيّة، وغيرها.

وإضافة إلى ذلك، يضمّ الأرشيف مجموعات لمؤسّسات مثل: أرشيف رواق - مركز المعمار الشعبي، وأرشيف الطائفة الأرثوذكسيّة في حيفا، وأرشيف متحف المنطار في طولكرم، وأرشيف مقهى بسمة التاريخي في يافا، ومجموعة التسجيلات الصوتيّة للموسيقي والمسرحي مصطفى الكرد، وغيرها من المجموعات الغنيّة التي تُؤرّخ وتُوثّق لأنشطة المؤسّسات المختلفة، وللتاريخ الشخصي المغمور لعائلات وأفراد في فلسطين، وللدور المحوري للشخصيّات الوطنيّة والفنيّة التي أثّرت في الحياة اليوميّة الفلسطينيّة ومشهدها السياسي والاجتماعي والثقافي.

وقالت مدير عام المتحف الفلسطيني، عادلة العايدي هنية، إن المتحف، بإطلاق الموقع الإلكتروني لمشروع الأرشيف الرقمي، نجح في تحقيق هدف استراتيجي جديد من أهدافه، إذ يشكّل هذا الموقع مرجعًا تاريخيًّا هامًّا لفلسطين، وحلقة وصل بين الفلسطينيّين حول العالم.

الجزائر تحتفي باليوم العالمي للأرشيف

نظّم "مركز الأرشيف لولاية قسنطينة" في الجزائر في اليوم العالمي للأرشيف معرضاً يهدف إلى التوعية بأهمّية الأرشيف، من خلال تقديم عدد من الوثائق التي يحتفظ بها المركز.

كما شهدت قسنطينة، بمناسبة اليوم العالمي للأرشيف وكذلك اليوم الوطني للكتاب والمكتبة، ندوةً شارك فيها باحثون ومكتبيّون، وتناول عددٌ من مداخلاتها مسائل مثل قيام الاستعمار الفرنسي بحرق كتب ومخطوطات من الأرشيف الجزائري.

المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية يحتفي باليوم العالمي للأرشيف

ليبيا.. فعاليات ومحاضرات في اليوم العالمي للأرشيف

ضمن فعاليات الاحتفاء باليوم العالمي للأرشيف، نظم "المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية" في العاصمة الليبية طرابلس محاضرة للباحث عبد الله علي نوح بعنوان "نحو مشروع وطنيّ لترجمة الأرشيف العثماني"، قدم فيها مقترح مشروع ترجمة الأرشيف العثماني، الذي يتضمن تأهيل العناصر ذات الأسس اللغوية الجيدة واستهدافها بدورة تعليمية لبلد اللغة الأصلي، كذلك الشروع في تصنيف الوثائق وفهرستها.

كما نظّمت "الجمعية الليبية للمكتبات والمعلومات والأرشيف" سلسلة من المحاضرات حول مسائل مثل السلامة المعلوماتية وحماية المعطيات الشخصية أو تشفير المعلومات والوثائق إلكترونياً.

ذاكرة مدينة من ورق": ماضي بيروت من خلال مطبوعاتها

احتضنت قاعة مركز "أمم للتوثيق والأبحاث" في بيروت معرضاً بعنوان "ذاكرة مدينة من ورق" للفنان اللبناني ألفرد طرزي (1980) ضمن تجهيزٍ فني شاء من خلاله "إبراز ظاهرة العنف وتطور صورة المرأة في المجلات اللبنانية خلال نصف قرن".

ضمّ المعرض آلاف الرسائل والمئات من أغلفة المجلات وعشرات الملصقات، التي تعود إلى المرحلة الممتدة من ثلاثينات القرن العشرين إلى ثمانينياته. واستند طرزي في إنجاز هذا التجهيز إلى أرشيفه الخاص، وإلى مجموعة صاحب "دار الفرات" عبودي أبو جودة، وأرشيف يحيى حكيم، وكذلك أرشيف مركز "أمم".

ضم المعرض عدداً من المجسمات لشخصيات لبنانية وعالمية، كما ضم صوراً جماعية وشعارات نسّقها طرزي بحسب المرحلة التي تعود إليها، واختارها من المجلات المعروضة، استناداً إلى رسوم للفنان التشكيلي الفلسطيني توفيق عبد العال ورسامي الكاريكاتور اللبنانيين الراحلين ستافرو جبرا وبيار صادق ومحمود كحيل وسواهم. وبين المجسّمات أيضاً مشاهد من الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990).

وفي طرفي القاعة، من الجهتين اليمنى واليسرى، عُرضت ملصقات سينمائية وصفحات توثق أحداثاً مفصلية في تاريخ لبنان والعالم، ومقالات مهمة، مثل مقابلة أجرتها مجلة "لا روفو دو ليبان" "La Revue du Liban" مع الزعيم الفلسطيني الراحل ياسر عرفات عام 1979.

أرشيف مجتمع المقاومة يعبر عن طبيعة الحراك المجتمعي الذي أسّس لقيام فعل المقاومة

أرشيفو
ARCHIVO

نشـرة تهتم بموضوعات الأرشـيف تصدر عن
مركـــز أوال للدراســـات والتوثيـــق

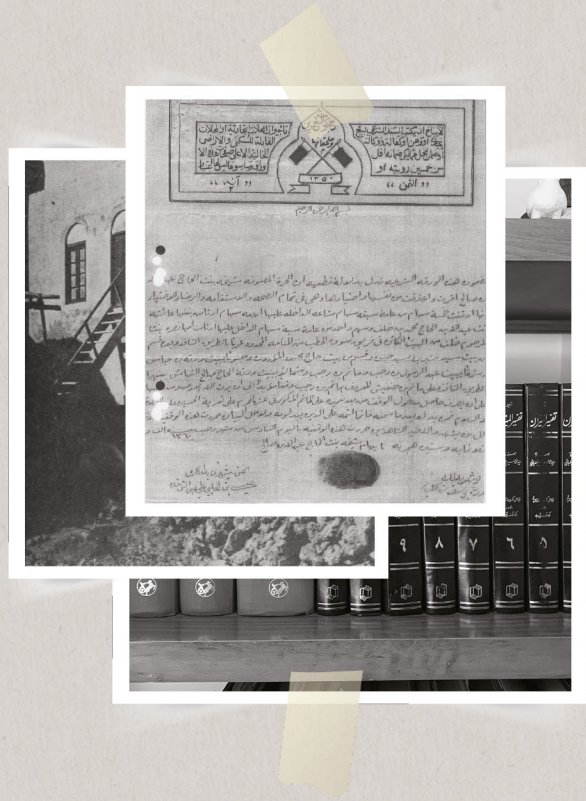

ISSN 2414 - 5386

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION
info@awalcentre.com | www.awalcentre.com
awalcentre